وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

– شعبة التاريخ –

العنوان:

# أهل الذمة ودورهم السياسي والاقتصادي في الدولة الزيانية

# 633–962هـ/1236–1554م

مذكّرة مُقدَّمة لاستكمال متطلّبات نيل شهادة الماستر في التاريخ.

تخصص: تاريخ وحضارة المغرب الأوسط.

إعداد الطالب:

✍ حريز عائشة

إشراف الأستاذ الدكتور:

✍ أ. مسعود كواتي

مشرف مساعد:

✍ أ. محمود سايح

الموسم الجامعي1437– 1438هـ/ 2016– 2017م

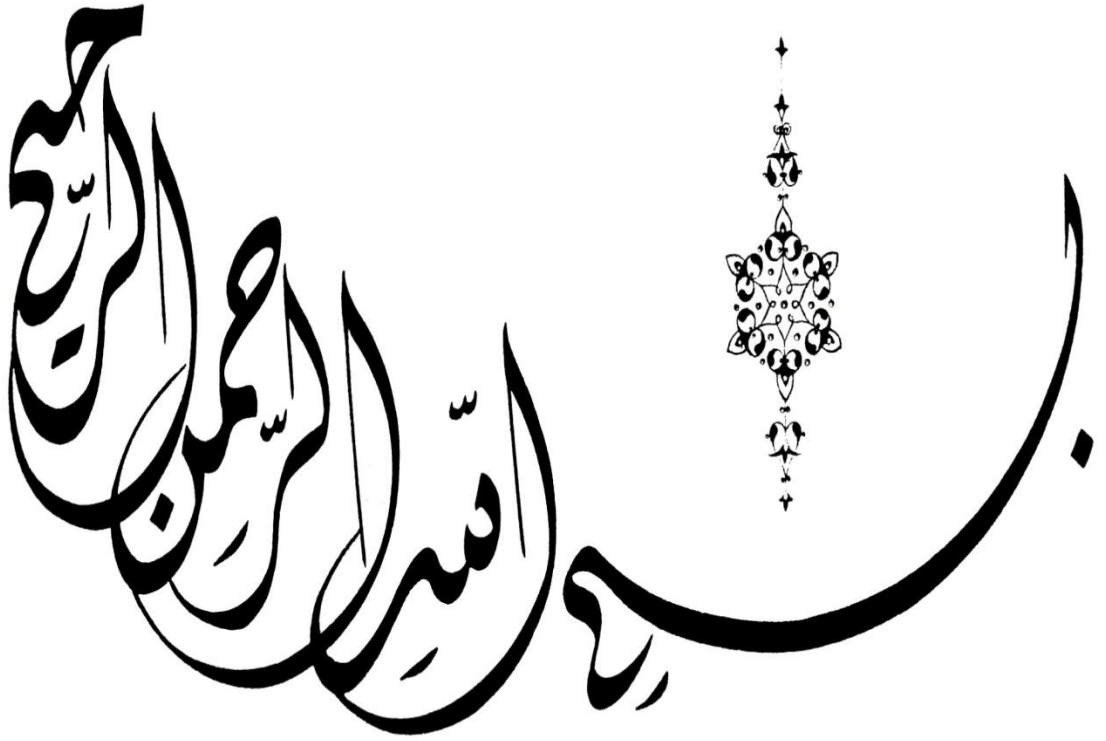

# شكروعرفان

**نشكر الله عزوجل الذي وفقنا وسدد خطانا لإنجار هذا العمل**

**إن قيد النعم شكرهـــا ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله فمن واجبي في هذا المقام أن أذكر الفضل لأهله أستاذي المشرف: كواتي مسعود تتزاحم العبارات لتنظيم عقد الشكر الذي لا يستحقه إلا انت إليك يا من كان له قدم السبق في ركب العلم والتعليم**

**إليك يا من بذلت ولم تنتظر العطاء إن قلت شكرا حقا سعيتم فكان السعي مشكورا**

**إلى كل من علمني حرفا فصرت أخط العبارات إلى جميع من أكن لهم فائق الإحترام والتقدير**

**أساتذة قسم التاريخ بعامة وأساتذة التاريخ الوسيط بخاصة**

**بحاز ابراهيم، عبد الجليل ملاخ، الطاهر بن علي، يمينة بن صغير– سليمان بن صديق– محمودسايح**

**وشكر موصول اساتذتنا الكرام أعضاء اللجنة المناقشة**

**الشكر موصول لكل من ساعدني لقمان أوهيبة الذي كان بمثابة عون لي طيلة مدة البحث إلى صديقاتي رباب حليمة ابتسام**

**إلي من تحملتني طيلة الاوقات إلى الصديقة الأخت فاطنة**

## الإهداء

**اليكـ يا منبع أمل الصافي الحنون... والأمل المشرق الذي لا يغيب**

**اليكـ أهدي عبارتي..... ورسالتي..... وأزكي تحياتي والدتي فاطمة**

**اليكـ يا من غمرتني بعطفك وحنانك وزرعت بنفسي حب الخير**

**اليكـ أهدي حبي ..... ورسالتي..... وجهدي وعمري والدي علي**

**إلى شموع أضاءت لي دربي، إخوتي أخواتي**

**مُحَّد– عمر– ميلود– عمورة– عربية– بركاهم**

**إلى من ملأوا البيت فرحا وسرور: هبة – نور الهدى– فوائد– مروان – نادية**

**الى كل خالاتي وأخوالي وأعمامي وأبنائهم كل باسم وأخص بالذكر خالتي دالية**

**إلى كل من وسعهم قلبي ولم يذكرهم قلمي أهدي هذا العمل**

## قائمة المختصرات

| الحرف | المدلول |
|---|---|
| ج | الجزء |
| مج | مجلد |
| ط | الطبعة |
| ص | صفحة |
| ص ص | صفحات متتالية |
| تر | ترجمة |
| تح | تحقيق |
| د د ن | دون دار نشر |
| ب ت | بدون تاريخ |
| هـ | الهجري |
| م | الميلادي |
| ق.م | قبل الميلاد |
| / | الخط الفاصل بين الهجري والميلادي |

بالفرنسية:

| P | page |
|---|---|

# المقدمة

عرف المغرب الإسلامي قيام مجموعة من الدول المستقلة التي استطاعت أن تتوسع على بعض أراضيه كالدولة المدرارية والرستمية والحمادية وغيرهم، واستطاع البعض الآخر أن يتوسع في جل أراضيه ويوحدها كالفاطميين والموحدين، ولقد خلفت الدولة الموحدية الواسعة الأرجاء جغرافيا ثلاث دول بعد سقوطها، وهي الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الزيانية في المغرب الأوسط، والدولة الحفصية في المغرب الأدنى، وأخذت كل واحدة في بناء صرحها الحضاري على حساب الأخرى، معتبرة كل دولة نفسها الوريثة الشرعية لدولة الموحدين.

تعتبر الدولة الزيانية التي قامت على جغرافية المغرب الأوسط واحدة من الدول التي أخذ سلاطينها منذ بداياتهم الأولى على العصبية القبلية في بناء دولتهم، ولقد كان المجتمع الزياني عبارة عن خليط من الأجناس البشرية، منهم البربر والعرب المسلمين، وأهل الذمة من اليهود والنصارى، إلاّ أنّ أهل الذمة قد عاشوا في جو من التسامح وحسن الجوار في الدولة الزيانية وفقا لما جاءت به تعاليم الدين الإسلامي.

في هذا الإطار جاء موضوع مذكرتي موسوما بـ:

**أهل الذمة ودورهم السياسي والاقتصادي في الدولة الزيانية**

**(633-962هـ/1236-1554م)**

❖ **حدود الدراسة:**

**الإطار المكاني:** فينحصر موضوع الدراسة في جغرافية المغرب الأوسط الممتد تقريبا من نهر ملوية وتلمسان غربا إلى بجاية وعنابة وقسنطينة، شرقا وهذا مع مراعاة المد والجزر الذي كانت تعرفه هذه الحدود بين الدول المتصارعة على المغرب الأوسط خصوصا والإسلامي عموما .

**الإطار الزماني**

ولقد تمحورت هاته الدراسة في الفترة الزمنية الممتدة من:( 633-962هـ/1236-1554م) وسبب اختيار هذه الحقبة التاريخية بالذات هو بروز أهل الذمة بشكل ملفت في هذه الفترة.

❖ **أسباب إختيار:**

**ومن الأسباب التي دفعتني للخوض** في هذا الموضوع هو إنجازي لبحث حول شخصية المغيلي وبعد اطلاعي على مجموعة من الكتب ومعرفة موقف المغيلي من طائفة اليهود برزت عندي فكرة دراسة الموضوع من الناحية السياسية والاقتصادية ومما زاد رغبتي في مواصلة ما بدأت فيه هو قراءتي لكتاب الأستاذ المشرف كواتي الذي حمل عنوان "**اليهود في المغرب الإسلامي إلى غاية سقوط دولة الموحدين** " هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى كانت لي رغبة في معرفة المكانة التي وصل إليها أهل الذمة خاصة في هذه المدة.

❖ **الإشكالية:** وقد تضمنت إشكالية البحث الآتي:

**كيف ساهم أهل الذمة في المجال السياسي والاقتصادي في العهد الزياني؟**

ومنها انبثقت أسئلة فرعية منها:

– ماهي أهم الهجرات النصرانية واليهودية التي عرفتها المنطقة ؟ وأين تكمن مناطق استقرارهم في العهد الزياني؟

–كيف كان تفاعلهم في المجال السياسي؟ وهل كان لهم أثر على الأنظمة السياسية في الدولة؟

– ماهو الدور الذي أدّاه أهل الذمة في المجال الاقتصادي ؟ وما مدى تأثيرهم على اقتصاد الدولة؟

–كيف كان موقف علماء الدولة من الوضع الذي آلت إليه هذه الطائفة ؟ وهل كان لهم دور في سقوط الدولة عبد الوادية التي عمرت أكثر من ثلاثة قرون؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات قسمت بحثي إلى ثلاثة فصول زيادة على المقدمة والمدخل وذّيلت البحث بخاتمة.

❖ **خطة البحث المعتمدة:**

ولإنجار هذا البحث اعتمدت على الخطة الآتية حيث بدأت بمدخل تطرقت فيه إلى أصل الزيانين، وقيام دولتهم.

**الفصل الأول** عنونته بمفهوم أهل الذمة ومناطق استقرارهم في المغرب الأوسط في العهد الزياني الذي اندرج تحته مبحثان: الأول حمل عنوان مفهوم أهل الذمة وتناولت فيه المفهوم بمعناه اللغوي والاصطلاحي الذي كان متداولا في عهد الخلافة الإسلامية، كما حوى المبحث حقوق وواجبات هذه الفئة ودفع الجزية ومقدارها والحكمة من مشروعيتها، أما فيما يخص المبحث الثاني فخصصته لهجرات أهل الذمة نحو المنطقة التي كانت على مدار ثلاث فترات ومواطن استقرار الجالية غير المسلمة في المغرب الأوسط

أما **الفصل الثاني** فقد عنونته بالدور السياسي لأهل الذمة في العهد الزياني والذي انضوى تحته هو الأخر مبحثان: الأول كان حول اليهود ودورهم في المجال السياسي وتطرقت فيه إلى علاقة اليهود بسلاطين الدولة وقربهم منهم وكذا مؤامراتهم مع الإسبان والدسائس التي أُحيكت من قبلهم أما المبحث الثاني فقد تناولت فيه دور النصارى على الصعيد السياسي حيث كان لهم دور مهم في هذا المجال خاصة في قضية الأسرى المسيحيين.

أما الفصل الثالث فخصصته للحديث عن الجانب الاقتصادي والدور الذي كان لأهل الذمة فيه فتطرقت لنبذة عن الوضع الاقتصادي السائد في الدولة الزيانية كما تناولت النشاط الاقتصادي الذي كان لهذه الطائفة ودورها البارز في تنشيط الحركة التجارية في المنطقة وكانت لي وقفة حول ما كان لعلماء المنطقة حول الامتيازات التي منحت لهذه الفئة ووصولها إلى حد تأثير على السلاطين وكذلك تحدثت بإيجاز عن دور هؤلاء في سقوط الدولة وما آل إليه الوضع.

وفي الأخير ذّيلت البحث بخاتمة كانت عبارة عن استنتاجات، وملخص عام حول الموضوع زد على ذلك الملاحق التي أردت بها إثراء الموضوع وتوضيح جوانبه.

❖ **أهمية الدراسة وأهداف:**

**وتبرز أهمية الموضوع** أنه برغم اختلاف الدين والثقافة لأهل الذمة إلا أنهم أوجدوا لأنفسهم مكانة مهمة في المجتمع الزياني بفضل الأدوار التي قاموا بها حيث أصبحوا من أهم طبقات مجتمع العبد الوادي مما استرعى الانتباه لهم، وأن يوليهم السلاطين اهتماما كبيرا .

وفي الآونة الأخيرة اكتسب موضوع أهل الذمة في البلاد الإسلامية عناية كبيرة من قبل المؤرخين والباحثين، وهذا نظرا للجدل الواسع الذي أثارته هذه الطائفة والدور البارز لها وسيطرتها على أحد ركائز الدولة وهو الاقتصاد خاصة في العصور الوسطى بخاصة الدولة الزيانية.

وهدفي ومقصدي من دراسة الموضوع هو التوصل وتوضيح ما يجب توضيحه والكشف عن أحوالهم في هذه الفترة خاصة هجراتهم إلى المنطقة ووضعهم الاقتصادي والسياسي السائد في الدولة

❖ **منهجية البحث:**

وللوصول للحقيقة التاريخية كان لابد من الاعتماد على منهج يسهل علي الامر فكان اعتمادي على المنهج التاريخي كونه الأنسب لسرد الأحداث والوقائع التاريخية، مستعينة بذلك على المنهج الوصفي والتحليلي.

❖ **صعوبات البحث:**

ولا يخلو أي بحث علمي من صعوبات تواجه الباحث ومن بين الصعوبات التي واجهتني أثناء خوضي في إنجار مذكرتي هي:

– تضارب الآراء حول تحديد تاريخ متفق عليه من طرف المؤرخين حول دخول أهل الذمة لبلاد المغرب، ومما زاد الأمر تعقيدا هو عدم تحديد المناطق التي هاجرت منها الجاليات غير المسلمة.

– قلة المصادر والمراجع التي تتحدث بشكل دقيق عن الدور الذي أدّاه أهل الذمة في المجال السياسي خلال العهد الزياني.

وفي الأخير ونظرا لقلة المادة في بعض الفصول وخاصة الفصل الثاني المتعلق بالجانب السياسي ووفرتها في الفصول الآخرى مثل الفصل الثالث صعب على مهمة التوفيق والتحكم في عدد صفحات الفصول.

### ❖ دراسة لأهم المصادر والمراجع:

أما فيما يخص المصادر والمراجع المعتمدة فكانت كالآتي:

**المصادر:**

كان من أهمها :

- كتاب " بغية الرواد في ذكر العلماء من بني عبد الواد " لأبي زكرياء يحي ابن خلدون الذي يعتبر من أهم المصادر للدولة الزيانية باعتبار صاحبه عايش الحدث فقد أمدنا بالكثير من التفاصيل عن الدولة وعن الواقع المعاش في تلك الفترة، ولقد استفدت من محتويات الكتاب في كل الفصول تقريبا.
- "المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب" لأبي العباس أحمد بن يحي الونشريسي وهو في إحد عشر جزء حوى الكتاب مجموعة كبيرة من الفتاوي التي تخص أمور أهل الذمة خاصة الفئة اليهودية، ولقد استفذت من معلومات الكتاب في كل من الفصلين الثاني والثالث، أما الأجزاء المستفاد منها هي الجزء الثاني والخامس والثالث.
- كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان لصاحبه لإبن مريم المديوني الذي يعتبر من أهم كتب التراجم التي أعطت ترجمة وافية لسلاطين الدولة.

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن من عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر لكاتبه عبد الرحمان بن خلدون الذي يعتبر من أهم المصادر التي أرخت لتاريخ المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بخاصة حيث ذكر الكاتب جل الأحداث الواقعة في هذه المدة.

**كتب الجغرافيا:**

تعد كتب الرحالة الجغرافين من أهم الكتب التي تزخر بالمناطق التي تمركز فيها أهل الذمة وكذا النشاط الاقتصادي الذي مارسوه:

- كتاب المسالك والممالك وكتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من الكتاب المسالك والممالك لكاتبه أبي عبيد لله بن عبد العزيز بن مُحَّد البكري ولقد أفادني هذان المصدران في الفصل الاول في المبحث الثاني حيث يزخر الكتابان بأهم المناطق التي تمركز فيها أهل الذمة .
- وكتاب إفريقيا للكاتب مرمول كربخال النصراني الذي كان من اهم الكتب التي أعطت وصفا ملما بنشاط اليهود والنصارى في المغرب الأوسط.
- كتاب الإدريسي أبوعبد الله بن مُحَّد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني نزهة المشتاق في إختراق الأفاق تضمن الكتاب معلومات مفيدة حول مدن المغرب الأوسط وذكر استقرار الجالية الذمية في مدن المغرب الأوسط.

**المراجع:**

اعتمدت على مجموعة من المراجع جاء في مقدمتها:

- عبد العزيز الفيلالي فقد كتب مؤلفه: "**تلمسان في العهد الزياني** " ونال به أطروحة الدكتوراه حوى هذا المرجع معلومات مهمة عند الدولة كانت استفادتي منه في الفصل الثاني في المجال السياسي.

- ومن الباحثين نجد أن الموضوع لفت انتباه الكثير من الدارسين تناولته الدراسة من قبل الباحث بسام كامل عبد الرزاق شقدان الذي حمل مؤلفه عنوان" تلمسان في العهد الزياني (633هـ-962هـ/1235-1555م) ولقد كان المرجع ملمًا بكل الجوانب الاقتصادية لدولة الزيانية، كما أوضح المرجع بعض النقاط لدور أهل الذمة في المجال الاقتصادي.
- وكتاب لخضر بوعبدلي التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد ولقد حوى الكتاب معلومات جد قيمة عن الدولة الزيانية والذي أمدني بمعلومات في مدخل البحث وكذا الفصل الأخير الخاص بالاقتصاد.

❖ **الدراسات السابقة:**

كان في مقدمتها:

- كتاب عبد الرحمان بشير الذي حمل مؤلفه عنوان **اليهود في المغرب العربي 22هـ- 462هـ / 642هـ- 1070م** إلا أن هذه الدراسة اقتصرت على الفترة الممتدة من الفتح إلى غاية دولة المرابطين.
- الدكتور كواتي مسعود تناول الموضوع في كتاب معنون **باليهود في المغرب الإسلامي إلى غاية سقوط دولة الموحدين** الذي تطرق فيه إلى كل الجوانب الحياتية لطائفة اليهود إلا أنه توقف عند الدولة الموحدية.
- كما نجد أن الموضوع درسه الدكتور **عطا علي مُحَمَّد شحاته ريه في كتابه اليهود في المغرب الاقصى** إلا إنه أولى اهتمامه في الدراسة بالمغرب الأقصى.
- أما فيما يخص مذكرة سميرة نميش فكانت مذكرتها مخصصة لأهل الذمة حيث حملت عنوان " **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني في الفترة الممتددة ما بين 7هـ-10هـ/13م -16م** وهي مذكرة لنيل درجة الماجستير في قسم التاريخ في جامعة أبي بكر بلقايد بتاريخ 2013-2014 والتي تطرقت إلى كل الأدوار التي كانت لأهل الذمة سواء النصارى أو اليهود في العهد الزياني.

وفي اخر مقدمتي بحثي لا يسعني إلا أن أشكر أهل الفضل أستاذي المشرف مسعود كواتي وإلى كل من ساعدني.

# مدخل :أصل الزيانين وقيام دولتهم

## مدخل:أصل الزيانين وقيام دولتهم:

عرفت رقعة وجغرافية المغرب الأوسط قيام العديد من الدول كانت لها مكانتها بين تاريخ الدول منها الدولة الرستمية والحمادية وصولا إلى دولة بني زيان التي استطاعت أن تفرض كيانها بين الدول التي قامت بالموازاة لها، فمن هم الزيانيون ؟ وكيف قامت دولتهم؟

### أولا: أصل الزيانيين:

ينتسب بنو عبد الواد[1] إلى فرع من فروع زنانة[2]وهم من الطبقة الثانية إحدى أشهر القبائل البربرية ببلاد المغرب[3]، ولقد استقروا بالمنطقة مند أزمنة طويلة، وتمتد مواطنهم[4] من تيهرت[5] إلى نهر ملوية[6]، ويرجع أصل تسميتهم ببني عبد الواد إلى جدهم عابد الوادي، وهم من سلالة ولد سجيج بن

---

[1]- **بنو عبد الواد:** أطلق على بني عبد الواد هذا الاسم إلى جدهم الذي كان يتعبد مترهبا في الواد فاطلق عليه عابد الواد أنظر: يحي ابن خلدون، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، الجزائر، وزارة الثقافة،2007،ج1، ص 186

[2]- **زناتة:** قبيلة من البتر البربرية ،يعود أصلهم إلى جانا بن يحي بن صولات بن ورساك بن ضري بن مقبو بن قروال بن يملا بن مادغيس بن رحيك بن همرحق بن كراد بن مازبغ بن هراك بن هرك بن برا بن بربربن كنعان بن حام ..للمزيد أنظر: أبن خلدون: **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن من عاصر..**، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ،2000،ج7 ،ص ص4-9.

[3]- يحي بن خلدون، المصدر السابق،ص 178.

[4]- يحي بوعزيز، **المراحل والأدوار التاريخية لدولة بني عبد الواد الزيانية**، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 26، 1975، ص 12

[5]- **تيهرت:** هي بلخ المغرب قد حدق بها الأنهار وإلتفت بها الأشجار، وغابت في البساتين، ونبعت حولها الأعين.. للمزيد أنظر: المقديسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مصر، مكتبة مدبولي،1991، ط3، ، ص **228**

[6]- **نهر ملوية:** نهر يقع شرق المغرب الأقصى ويصب حالي ويصب في البحر الأبيض المتوسط، وكان أغلب الأحيان الأوقات الحد الفاصل بين مملكة بني زيان وبني مرين. أنظر: مُحَمَّد بن عبد الله التنسي، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان:** مقتطف من نظم الدور والعقيان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد ، الجزائر ، 2011، ص287.

يصليتن بن مسري بن زكيا بن ورسيج بن مادغيس الأبتر[1]، أما يحي بن خلدون فيرجع نسبهم إلى بر بن قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[2].

وينقسم بنو عبد الواد إلى ستة بطون ذكرهم صاحب البغية وهم بنو ياتكتن، وبنو واللو، ومصوجة، وبنو تومرت، وبنو ورسطف، وبنو القاسم استوطنوا الصحراء ينتجعون بذلك مراعيها[3].

ولقد اختلف المؤرخون في تحديد نسب بني زيان بحيث يزعم بنو القاسم هؤلاء أنهم من أولاد القاسم بن إدريس أو القاسم بن مُحَّد بن أو بن عبد الله أو ابن مُحَّد بن القاسم وكلهم من أعقاب إدريس، حتى أن يغمراسن[4] مؤسس الدولة نفسه لم يؤكد هذا النسب ولم يستسغه وفي هذا الشأن يذكر صاحب العبر" إن كان صحيحا فينفعنا عند الله، وأما الدنيا فإنما نلناها بسيوفنا"[5]

أما التنسي فيرجع انتساب بني عبد الواد إلى القاسم بن إدريس حيث يشير إلى أنه لما تغلب جيش المنصور بن المنصور بن أبي عامر على الحسن ابن قنون بن مُحَّد بن القاسم بن إدريس بن إدريس آخر ملوك الأدارسة، فافترق بنو أبيه غربا، شرقا، شمالا وجنوبا، فكان القاسم هذا ممن أصحر وانضاف إلى قبيل بني عبد الواد فأكرموا نزله ومثواه وعظموا قدره وشرفه، فتزوج فيهم ونسل بينهم ذرية كثيرة[6].

---

[1]–سميرة نميش، **دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني القرنين(7–10هـ/13–16م)**، رسالة ماجستير، قسم التاريخ وعلم الأثار، جامعة تلمسان، 2014،ص 14.

[2]- يحي بن خلدون، المصدر السابق ،ج 1،ص 180.

[3]- نفسه، ص 186.

[4]- **يغمراسن:** مولده سنة 603 أو 605، كان حريصا شجاعا فاضلا حليما متواضعا يؤثر العلماء والصالحين ويجالسهم بويع يوم يوم وفاة أخيه أبي عزة زيدان سنة 633هـ. للمزيد أنظر: يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1 ص ص 110-111.

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق ،ج 7، ص 97.

[6]- خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية (55–633هـ/675–1235م)، الجزائر**، دار الألمعية الألمعية للنشر و التوزيع، 2011، ط1،ص 209.

وكانت هذه القبيل ممن تجوب صحراء المغرب الأوسط[1] بمواشيهم بحثا عن الكلأ والماء، ويذكر ابن خلدون أن المغرب الاوسط موطنهم الأصلي، فيقول في هذا الشأن: " والأكثر منهم بالمغرب الأوسط حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال وطن زناتة"[2]، مترددين في ذلك ما بين فكيك[3] وجبل راشد ومصاب[4]، وبقوا على ذلك الحال إلى أن تغلب الموحدون على أعمال المغرب سنة 539هـ فكانوا أعوانا لهم[5]، وكانت رئاستهم في بني القاسم[6] نظرا لقوتهم وتعدد بطونهم منهم: بنو يكتمين وأخواه يكتمين وعمر، وكان ايضا منهم أغدوي بن يكمين الأكبر ويقال الأصغر، ومنهم أيضا عبد الحق بن منغقاد من ولد يعزن، وكانت الرياسة عليهم لعهد عبد المؤمن لعبد الحق بن منعقاد، وأغدوي بن يكمين، وكان عبد الحق بن منعقاد هو من استنفد الغنائم من يدي بني مرين وقتل المخضب المسوق حين بعثه عبد المؤمن مع الموحدين لذلك [7].

ومن بطون بني القاسم أيضا: بنو مطهر بن يمل بن يزكين بن قاسم، وكان حمامة بن مطهر من شيوخهم لعهد عبد المؤمن، وأبلوا في حروب زناتة مع الموحدين بلاء حسنا، وكان بنو علي من بطون بني القاسم الذين انتهت إليهم الرياسة لشدة عصبيتهم وعددهم، وتفرع منهم بنو طاع لله، وبنو دلول

---

[1]- **المغرب الأوسط**: هو في أغلب الاحيان ديار زناتة كان لمغراوة وبني يفرن، وكان معهم مدونة ومغيلة وكومية ومطغرة ومطماطة ثم صار من بعدهم بني ومانوا وبني بلومي ثم صار لبني عبد الواد وتوجين من بني مادين وقاعدته المغرب الأوسط..أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، 134.

[2]- نفسه ،ج 7، ص 3.

[3]- **فكيك**: عبارة عن ثلاثة قصور يحيط بها عدد كبير من النخيل.. الحسن بن مُحَمَّد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا ،تر: مُحَمَّد** حجي، مُحَمَّد الإخضر، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1983، ط2، ج2، ص 132..

[4]- عبد الرحمن بن خلدون ، المصدر السابق، ج7، ص 97.

[5]-نفسه، ص 97.

[6]-لخضر بوعبدلي، **تاريخ تلمسان في عهد بني زيان (962-633هـ/1554-1236م)، الجزائر**، دار الأوطان، 2007، ط1، ص 54.

[7]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 97.

وكمين، وبنو معطي بن جوهر، ونصاب الرياسة في بني طاع الله لبني مُحَمَّد بن زكراز بن تيدوكس بن طاع[1].

وجزاء لطاعتهم وإخلاصهم منحهم الموحدون عهد المؤمن بن علي[2] ضواحي من المغرب الأوسط فاستقروا في تل تلمسان[3] تاركين الصحراء لما أنسوه من خصبه، وغضارة عيشه، فاتخذوه مربعا ومصطافا لهم[4]، فاتسع رزقهم وعظم نفوذهم وتوسعوا في أراضي القبائل المجاورة، وتوسموا الخير في في المستقبل[5]، وأصبحوا تحت خدمة الموحدين، فاتخذوهم حماة على قطر تلمسان[6].

ولما ضعف أمر الدولة بالمغرب شق بنو عبد الواد عصا الطاعة[7]، وتطلعوا لاستيلاء على قطر تلمسان وأحواز المغرب الأوسط، وكان أمر جمعهم يومئذ إلى جابر بن يوسف بن مُحَمَّد وهو ابن عم زيان والد أمير المسلمين [8].

---

[1]-بن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 98.

[2]– **عبد المؤمن بن علي**: هومُحَمَّد بن عبد المؤمن بن علي بن يعلا بن مروان بن نصر بن عامر بن الأمير بن موسى بن عون الله بن يحي بن ورزايع بن صطفور بن نقور بن مطماط بن هود بن مادغيس بن بر بن قيس بن عيلان بن نزار بن معد بن عدنان. للمزيد أنظر: ابن ابي زرع الفاسي، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس**، الرباط، صور للطباعة والوراقة، 1972، ص 183. أنظر: ابو مُحَمَّد عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ط1، 148.

[3]- **تلمسان**: قاعدة المغرب الاوسط، مدينة قديمة عظيمة فيها أثار كثيرة أزلية تنبئ أنها كانت دار مملكة لأمم سالفة، وهي في سفح جبل أكثر شجره الجوز، وكانت دار مملكة زناتة وحواليها قبائل كثيرة من زنانة وغيرهم من البربر. أنظر: مُحَمَّد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، لبنان، مطبعة هيد لبرغ، 1984، ص 176.

[4]– لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني زيان**، الجزائر، **ابن** النديم للنشر والتوزيع، 2011، ط1، ص 41.

[5]-لخضر عبدلي، **تاريخ ممكلة تلمسان**، الجزائر، دار الأوطان، 2011، ط1، ص 57.

[6]-يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص 186.

[7]- الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ، 2011، ط1، ج1، ص 62.

[8]- التنسي، المصدر السابق، ص112.

**ثانيا: تأسيس الدولة الزيانية:**

ذكرت معظم الروايات التي تداولها كل من المؤرخين التنسي إلى ابن خلدون إلى صاحب بغية الرواد حول كيفية وصول بني عبد الواد إلى الحكم عبر الرواية القائلة أن أبا سعيد عثمان بن يعقوب المنصور أخ المأمون إدريس بن المنصور سلطان الموحدي[1] كان واليا على تلمسان، فاعتقل جماعة من رؤساء بني عبد الواد وبعد مدة شفع فيهم أحد من لمتونة[2]، وهو إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي، كان يومئذ في تلمسان، فردت شفاعته فأنف لذلك وحملته العصبية على أن جمع قومه واغتال الحسن بن حبون فبقتله سرح بنو عبد الواد واعتقل مكانهم أبا سعيد وذلك سنة 724هـ[3] معلنا خلع طاعة الموحدين، وسولت له نفسه أن يعيد إحياء الدولة اللمثونية، وذلك لا يتأتى له إلا إذا قضى على كبار بني عبد الواد، فبعث إلى جابر بن يوسف وأكابر قومه وطلبهم لحضور وليمة عنده فجاءوه، فلما قربوا من البلد اكتشفت خطته، ونتيجة لذلك وقع إبراهيم وثمانية من مشايخه أسرى بين أيدي بني عبد الواد[4].

دخل جابر بن يوسف[5] تلمسان فنادى بدعوة المأمون وطاعته، واجتمع لجابر كافة بني عبد الواد وأحلافهم من بني راشد، فبعث إلى المأمون، وقام بدعوته، فكتب له العهد على تلمسان وعلى سائر بلاد زناتة[6]، وبذلك تكون البداية والخطوة الأولى لبناء صرح الدولة الزيانية العبد الوادية.

---

[1]- **المأمون إدريس بن المنصور**:كانت خلافته 365هـ،كانت له نفس كبيرة، وكان عالما كاتبا أديبا فصيحا بليغا، إلا أن دولته كانت مزاحمة بأبي زكرياء يحي الناصر فلم يتأت له معه تمهيد البتة، وهو الذي أزال اسم المهدي من السكة وغيرها وأزال إسمه من جميع رسوم الموحدين، مما كان العمل به في سائر دولتهم. للمزيد أنظر: مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، المغرب، دار الرشاد،1979، ص ص 163-164.

[2]- التنسي، المصدر السابق، ص 112.

[3]- إبن خلدون، المصدر السابق، ج 7،ص 99.

[4]- التنسي، المصدر السابق ، ص 113.

[5]- **جابر بن يوسف**: هو بن مُحَمَّد بن زجدان، من بني عبد الواد، مؤسس الدولة العبد الزادية في تلمسان، تنصب على حكم تلمسان أيام سنة 627هـ . انظر: عادل نويض، **معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر**، لبنان، مؤسسة نويهض الثقافية للتاليف والترجمة، 1980، ط2، ص 223.

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100.

وفي هذه الأثناء عمل جابر بن يوسف على إخضاع القبائل المجاورة من إقليم تلمسان، فكانت وجهته ندرومة[1] التي أبى أهلها الانصياع لأمر بني عبد الواد، فزحف لحصارها فهلك هنالك بسهم أصابه[2].

وبوفاة جابر بن يوسف، تولى مكانه ابنه الحسن، وجدد له المأمون عهده بالولاية، ثم ضعف عن الأمر وتخلى عنه بعد ستة أشهر من الولاية لصالح عمه عثمان ابن يوسف الذي أساء لرعية فثاروا عليه وأخرجوه سنه 731هـ[3]، واتفق بنو عبد الواد على تقديم أبي عزة زيدان بن زيان، فاستولى على تلمسان وأعمالها فنكث عنه بنو مطهر[4] وظاهرهم بنو راشد[5]، فكانت بينهم عدة حروب قتل في إحداها، فحينئذ قدم بنو عبد الواد أخاه أمير المسلمين يغمراسن بن زيان، وبايعوه بيعة الملك المستقل وخلعوا بني عبد المؤمن [6].

[1]– **ندرومة:** مدينة واقعة الشمال الغربي من تلمسان في أحد الطرق الواصلة بين هنين وعاصمة بني زيان وتبعد 60كلم. أنظر: التنسي: المصدر السابق، ص 287.

[2]- نفسه، ص 113.

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 100.

[4]– **بني مطهر**: ينتمون إلى قبائل زناتة ،وهم أبناء عمومة بني عبد الواد ..أنظر : سميرة نميش : المرجع السابق ،ص 18.

[5]- **بنو راشد:** كانت مواطنهم بالصحراء بالجبل المعروف براشد إسم أبيهم، وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر...للمزيد أنظر: أبن خلدون، المصدر السابق ،ج7، ص203.

[6]- التنسي، المصدر السابق، ص 113.

# الفصل الأول:

## مفهوم أهل الذمة ومناطق تواجدهم في الدولة الزيانية

## الفــصل الأول : مفهوم أهل الذمة ومناطق تواجدهم في الدولة الزيانية

### المبـحث الأول : مفهوم أهـــل الــذمة:

يعتبر مصطلح أهل الذمة من أهم المصطلحات الفقهية الهامة التي كانت متداولة في العصور السابقة زمن الخلافة الإسلامية وعليه سنحاول في هذا المبحث أن نبسط مفهوم أهل الذمة من الناحية اللغوية والاصطلاحية من خلال ما توفر لدينا من مصادر حتى نتمكن من تجسيد صورة شاملة حول المصطلح

**أولا:تعريف الــذمـــــة لغـــة :**

**أ– لغـــــــة:**

أورد اللغويون لفظة الذمة بذالها المكسور وميمها المشدد بمعاني شتى حيث رأوا بأن معناها العهد والعقد وبمعنى الكفالة والضمان والأمان والحق والحرمة [1].

والذمة هي العهد والكفالة وجمعها ذمام كل حرمة تلزمك إذا ضيعتها المذمة، وفلان له ذمة أي له حق[2]، وتفسر بالأمان والضمان، وكل ذلك متقارب ومنها قيل :" للمعاهد من الكفار ذمي لأنه أومن على ماله ودمه بالجزية "[3].

[1]– علي عبد الرحمان الطيار، **حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية**، السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 2006، ط2، ص 41.

[2]– أبو الفضل جمال الدين ابن مُحَّد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، لبنان، دار صادر،د،ت، د، ط، ج12/ ص 221.

[3]– ابو الفتح ناصر الدين المقريزي، **المغرب في ترتيب المغرب**، تح: محمود الفاخوري وعبد الحميد مختار،سوريا، مكتبة أسامة بن زيد، 1979، ط 1، مج1،ص 307

وفي حديث علي كرم الله وجهه:" **ذمتي رهينة وأنا بها زعيم...** "أي ضماني وعهدي رهن بالوفاء به[1]، ومن الفقهاء من يقول أن الذمة هي محل الضمان والوجوب، ومنهم من قال هي معنى يصير بسببه الذمي على الخصوص أهلا لوجوب الحقوق له وعليه والأول هي التحقيق[2].

فالذمي هو كل من يأخذ غير الإسلام دينا، وإذا جئنا لفهم فحوى الذمي فالكلمة مأخوذة من الذمة وهي العهد[3]، والعهد منسوب إلى الذمة، ورجل ذمي معناه رجل له عهد، ففي الحديث الشريف يقول المصطفي ﷺ " **ويسعى بذمتهم أدناهم**"[4]، وفسر الفقهاء "ذمتهم" بالأمان، وقالوا في تفسير عقد الذمة بأنه إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة.

وعلى هذا يمكن القول إن عقد الذمة عقد بمقتضاه يصير غير المسلم في ذمة المسلمين أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد، وله الإقامة في دار الإسلام على وجه الدوام[5].

**ب- اصطلاحا:**

أهل الذمة مصطلح أستخدم في التاريخ الإسلامي للإشارة لليهود والنصارى، الذين يعيشون في بلاد الإسلام وقد أطلق عليهم هذا اللقب لأن النبي ﷺ أعطاهم ذمته وأمانته وقد دعاهم أهل الكتاب نسبة الى الكتاب المقدس التوراة والانجيل[6]، **لقوله تعالى:" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون** "[7]

---

[1]- ابن منظور، المصدر السابق ، ص 221.

[2]- المقريزي، المصدر السابق ، ص 307.

[3]- تقي الدين نبهاني، **الشخصية الاسلامية**،لبنان، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، 2003، **ط5**،ج2، ص 223.

[4]- ابن منظور، المصدر السابق ،ص 221.

[5]- عبد الكريم زيدان، **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام**، لبنان، مؤسسة الرسالة،1982، د،ط، ص22.

[6]- حسين الحاج حسن، **النظم الإسلامية**، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987،ط1، ص335.

[7]- سورة التوبة ، الآية 29.

ويجري المجوس مجراهم في أخذ الجزية منهم وإن حرم أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم[1]، وذلك لأن عمر رضى الله عنه لم يأخذها منهم حتى شهد عبد الرحمان بن عوف أن النبي "ص" أخدها من مجوس هجر، قال الرسول ﷺ : **" سنوا بهم سنة أهل الكتاب "**[2] .

وفي منظومة الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي بيان ما ذكر لعقد الذمة:

**تعقد الذمة مع أهل الكتاب والمجوس شبهة فيهم تجاب**

**يعقدها الإمام إذ تأمنهم وفي خصال أربع يلزمهم**

**بجزية يأخذها من صاغر مع احترام ديننا في الظاهر**

**ولا يضر مسلم من فعلهم والحكم بالإسلام فوق أمرهم**[3].

ويرى الفقهاء أن أهل الذمة هم من عاهدهم الإمام أو نائبه من غير المسلمين عهدا مؤبدا على أمنهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وعقيدتهم نظير التزامهم الجزية[4]، وهي ضريبة نقدية مفروضة على على الأشخاص القادرين غير مسلمين[5]، وذلك مقابل الزكاة المفروضة على المسلمين حتى يتكافأ الفريقان باعتبارهما رعية لدولة واحدة وتكون مقدرة وفقا لحالة كل منهم الاقتصادية [6].

وتعتبر الذمة عقدا أبديا دائما يبرم دون تحديد زمني لمفعوله، وعند موت الموقعين تنتقل موجبات العقد إلى الأبناء، وهذا العقد ليس معاهدة بالمعنى الصحيح ولكنه رابطة لا تنعقد بين دولتين بل بين

---

[1]- أبو الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب الماوردي، **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح: أحمد مبارك البغدادي، الكويت، مكتبة ابن قتيبة، 1989، ط1، ص 183 .

[2]- مصطفى السيوطي الرحيباني، **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، سوريا، منشورات المكتب الاسلامي، سوريا،د،ت،د، ط،ج 2، ص593.

[3]- موسى مُحَمَّد شحادة، **منظومة الذهب المنجلي في الفقه الحنبلي**، سوريا، دار الفكر، 1981،ط 1، ص ص 167،168.

[4]- عطية فياض، **فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة**، مصر، دار النشر للجامعات،1991، ط1، ص13.

[5]- عبد الرحمان الطيار، المرجع السابق ، ص43.

[6]- مصطفى عبد الكريم الخطيب، **معجم المصطلحات والألقاب التاريخية**،، لبنان، مؤسسة الرسالة، 1996،ط1، ص194.

دولة من جهة ورؤساء قاعدة شعبية من جهة أخرى، وهذه الرابطة تنشئ واجبات ليس فقط تجاه الدولة الإسلامية ولكن اتجاه كل مسلم على حدة وكل ذمي أو كتابي، ومن هنا نستنتج أن لها مفعول القانون لأنه عندما يخالفها الذمي يتحمل وحده نتيجة المخالفة وليس طائفتها كلها [1].

**ثالثا: أحكـــــام أهل الذمة في الإسلام**

**أ- الحقوق و الواجبات :**

بعد أن تطرقنا فيما سبق إلى مفهوم أهل الذمة بمعناه اللغوي والاصطلاحي، ففي هذه النقطة نحاول أن نسلط الضوء على هذه الطائفة التي وجدت لها مكانا في المجتمع الإسلامي وبموجب تواجدهم كان لابد أن يكون لهم حقوق وعليهم واجبات.

ولقد كان المسلمون قبل أن يسعوا إلى فتح بلاد يرسلون رسلا حاملين إليهم شروطا للوفاق وعرفوا كيف يحجمون عن حمل أحد بالقوة على ترك دينه وذُكر في كتاب حضارة العرب عن روبرتسون في كتابه "تاريخ شالكن" :" أن المسلمين وحدهم هم الذين جمعوا بين الغيرة لدينهم وروح التسامح نحو أتباع الأديان الاخرى وأنهم مع امتشاقهم الحسام نشرا لدينهم، تركوا من لم يرغبوا فيه أحرارا في التمسك بتعاليم دينهم"[2]، حيث كانت تقاليد الإسلام تقضي بأنه إذا أراد المسلمون غزو إقليم وجب عليهم أن يطلبوا من أهله اعتناق الإسلام فمن استجاب منهم طبقت عليه أحكام المسلمين، أي تكون له حقوق مثل المسلمين ووجب عليه ما وجب على المسلمين، وإن امتنع فرضت عليه الجزية [3].

وكانت الحكمة من وضع الجزية هو الذل الذي يلحق بغير المسلمين ويحملهم على الدخول في دار الإسلام وذلك عن طريق مخالطة المسلمين للاطلاع على محاسن الإسلام، ولقد اختلف

[1]- حسن الزين، **الأوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الاسلامية حتى الفتح العثماني**، لبنان، دار الفكر الحديث للطباعة ، 1988 والنشر ، ط1، ص11.

[2]- غوستاف لوبون، **حضارة العرب**،تر: عادل زعيتر، مصر، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، 2012،ط1،ص143.

[3]- علي حسني الخربوطلي، **الاسلام وأهل الذمة**، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، 1969،ط1،ص65.

الفقهاء في سنة مشروعيتها حيث قيل أنها في السنة الثامنة وقيل في السنة التاسعة[1]، أي بعد فتح مكة، لأن الرسول ﷺ كان يتعامل معهم قبل ذلك في شكل عهود إلى مدد لا على أنهم داخلون في ذمة الإسلام وحكمه، ويؤيد ذلك آية الجزية المتضمنة عقد الذمة وهي قوله تعالى" **قاتلوا الذين لا يومنون بالله ولا باليوم الأخر ولايحرموا ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية**....." نزلت في السنة التاسعة أي بعد فتح مكة[2].

وأما الواجبات هو أن يدفع أهل الذمة الجزية، وذلك بشرطين، ذكرهما الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية منها المستحب ومنها المستحق، أما المستحق فقد اشتمل على ستة أشياء، وهي أن لا يذكروا لله تعالى بطعن ولا رسوله بتكذيب وأن لا يذكروا الإسلام بذم له ولا قدح فيه، وأن لايفتنوا مسلما عن دينه ولا يتعرضوا له، و أن لا يعينوا أهل الحرب، وألا يصيبوا مسلمة بزنا أو نكاح[3].

أما المستحب ستة أمور، لبس الغيار[4] وشد الزنار[5]، ويجب أن لا تعلوا أبنيتهم على بنيان المسلمين، ولا يسمعوا أصوات نواقيسهم[6]، ولا تلاوة كتبهم، وعدم المجاهرة بشرب الخمر وإظهار صلبانهم وخنازيرهم، وأن يخفوا دفن موتاهم ولا يجاهروا بالنواح عليهم، وعدم ركوبهم الخيل ولا يمنعوا من ركوب البغال والحمير ولا يجوز أن يحدثوا في دار الاسلام بيعة ولا كنيسة، فإن أحدثوها هدمت

---

[1]- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تع: عبد الرحمان بن ناصر البراك، السعودية، دار طيبة للنشر والتوزيع، 2005،ط1، مج7 ،ص 441.

[2]- عبد الكريم زيدان، المرجع السابق، ص 22.

[3]- الماوردي، المصدر السابق، ص 186.

[4]- **الغيار**: هي علامة أهل الذمة وقيل الغيار أن يخيطوا على ثيابهم الظاهرة ما يخالف لونه لونها وتكون الخاطية على الكتف دون الذيل.. أنظر: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تح: علي بوملحم، لبنان،دار الكتب العلمية،د،ت، د،ط، ج8، ص 175.

[5]- **الزنار**: جمعه زنانير ومعناه حزام يشده النصراني على وسطه، انظر: شوقي ضيف وأخرون، **المعجم الوسيط**، مصر، **مكتبة الشروق الدولية**، 2004، ط4 ص 403.

[6]- **نواقيس**: هو مضراب النصارى الذي يضربون به إيدانا بحلول وقت الصلاة..أنظر: النويري، المصدر السابق، ص 175.

عليهم ويجوز أن يبنوا ما استهدم من بيعهم وكنائسهم العتيقة واذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم، ولا غنم أموالهم، ولاسبي أولادهم وزوجاتهم مالم يقاتلوا وجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها [1].

عن عبد الرحمن بن عنم قال كتبت لعمر بن الخطاب ﷺ حين صالح نصارى الشام "بسم الله الرحمان الرحيم هذا كتاب عبدالله بن عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا ..... وشرطنا لكم على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا ولافيما حولها قلية ولا صومعة راهب، ولا نجدد ما خرب منها ديرا ولا كنيسة ولا نخفي ما كان منها في خطط المسلمين .....ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم ولانتكنى بكانهم .....ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية...."[2] .

أما حقوق أهل الذمة فهي كما يلي:

1-**حسن المعاملة:** فلقد أوجب الإسلام حسن العشرة لغير المسلمين مع الدين لو يتعرضوا لهم بالأذى والقتال وذلك بالكف عن قتالهم اذا جنحوا للسلم، ودفعوا الجزية .

2-**الحقوق السياسية:** عاش أهل الذمة بمحاذاة المسلمين في ديارهم فوجب المحافظة على أموالهم، ودمائهم حيث أن رجلا من المسلمين في رسول ﷺ قتل ذميا فرفع ذلك إلى الرسول ﷺ فقال : " أنا أحق من وفى بذمته " ثم أمر به فقتل،كما دعا الإسلام إلى حفظ أعراضهم" ويجب كف الأذى وتحريم غيبته كالمسلم" .

[1]-الماوردي، المصدر السابق، ص 186.

[2]-أبو العباس أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، مصر، دار الكتب السلطانية ، 1918، ط1،ج 13،ص ص 357،358.

3-**الحقوق الاجتماعية:** التأمين عند العجز والشيخوخة والفقر حيث ضمن الإسلام لغير المسلمين في ظل دولته،كفالة المعيشة الملائمة لهم ولمن يعولهم، لأنهم رعية للدولة الإسلامية وهي مسؤولة عن رعاياها لقوله ﷺ :"كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته " .

4- **حرية الاعتقاد:** ونقصد بذلك حرية التدين ويحمي الإسلام فيما يحميه من حقوق أهل الذمة حق الحرية وأول الحريات، حرية الاعتقاد والتعبد، فلكل ذي دين دينه ومذهبه، لا يجبر على تركه إلى غيره، ولا يضغط عليه ليتحول منه إلى الإسلام لقول الرسول ﷺ ما كان على يهوديته ونصرانيته فإنه لا يفتن عنها "[1]وذُكر أن عمر بن الخطاب قال لعجوز نصرانية: أسلمي تسلمي، إن الله بعث مُحَمَّدا بالحق قالت: أنا عجوز كبيرة، والموت أقرب إلى! فقال عمر :اللهم أشهد ، وتلا : لا إكراه في الدين [2].

5- **الأمور الشخصية:** بمقتضى عقد الذمة لا يجوز لأهل الذمة أن يتصرفوا تصرفا لا يتفق مع تعاليم الإسلام كعقد الربا وغيره من العقود المحرمة كما تقام عليهم الحدود من فعلوا ما يوجب ذلك أما ما يتصل بعقائدهم وعبادتهم داخل كنائسهم وما يتصل بزواجهم ولا طلاقهم، وما شابه ذلك فلهم فيها الحرية تبعا للقاعدة الفقهية المقررة: "تركوهم وما يدينون " وأن تحاكموا الينا، فلنا أن نحكم لهم بمقتضى الاسلام أو نرفض[3] .

إلا أنه مع كل ما أجاده به المسلمون مع أهل الذمة من حسن المعاملة وإعطائهم كل حقوقهم التي ضمنها لهم الإسلام، فكثيرا ما كان أهل الذمة ينقضون العهود، فما كان على المسلمين إلا إخراجهم من ديارهم دون قتلهم ولا غنم أموالهم وسبي دراريهم، ما لم يقاتلوا ووجب إلحاقهم بدار

[1]- تقي الدين النبهاني، المرجع السابق ، ص 229.

[2]- يوسف القرضاوي، **غير المسلمين في المجتمع الاسلامي**، الجزائر، دار الشباب،د،ت، دط، ص17.

[3]- سعيد عبد العظيم، **حكم معاملة أهل الذمة**، مصر، دار الإيمان للطبع والنشر والتزيع، 2006، د،ط، ص26.

الكفر آمنين، فإن لم يخرجوا طوعا أخرجوا كرها[1]، وفي ظل ذلك عاش الذميون مع المسلمين جنبا إلى جنب حق لهم ما حق للمسلمين ووجب عليهم ما وجب على أهل الإسلام.

**ب- الجزيـــــــة ومقدارهـــــــا:**

الجزية في اللغة اشتقت من الفعل الثلاثي جزى، وجزاء، وهي على وزن فِعلة، والجزاء دلالة عن الهيئة، وهي الإذلال عند الإعطاء، وقيل: المكافأة بالإحسان والإساءة، وقيل: القفاء وتعني العقوبة [2]، وهي ما يؤخذ من أهل الذمة نظير إقامتهم بدار الإسلام[3] .

أما اصطلاحا فهي ما يفرض على أهل الذمة من مال يؤدونه للمسلمين، نظير دخولهم تحت رعوية الدولة الإسلامية [4]، فهي بذلك مسؤولة عن تأمينهم وحمايتهم والنظر في شؤونهم.

ويذكر الماوردي في كتابه الأحكام السلطانية، أن الجزية هي ذلك المال الموضوع على الرؤوس واسمها مشتق من الجزاء، إما جزاء على كفرهم، لأخذها منهم صغارًا، وإما جزاء على أمننا لهم لأخذها منهم رفقاً[5]، أما صاحب كتاب الفتح الباري فيقول: الجزية من جزأت الشيء إذا قسمته وهنا المقصود أهل الذمة، وقيل من جزاء تركهم ببلاد الإسلام، أو الإجزاء لأنها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه [6].

[1]- الماوردي، المصدر السابق ، ص 186.

[2]-خليف عبود حركوت، **الجزية والمسلمين الجدد دراسة تاريخية** ،مجلة المداد الآداب، العراق، العدد 10، 2015، ص 292

[3]-سعدي أبو جيب، القاموس الفقهي، سوريا، دار الفكر، 1988، ط2، ص 62.

[4]-علي نايف الشحود، **الخلاصة في أحكام الجزية**، سوريا، د،د ، 2012، ط1، ص 6.

[5]- الماوردي، المصدر السابق ، 186

[6]-أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، المصدر السابق، ص 441

أما فيما يخص مشروعيتها، ففي قوله تعالى " **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الأخر، ولا يحرمون ما حرم لله ورسوله، ولا يدينوا يدين الحق من الدين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون** "[1] .

وإن دلت الآية على شيء فهو على جواز أخذها من أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى، أو من له شبهة كتاب كالمجوس، واختلفوا ممن ليس لهم كتاب [2].

أما عن أوصاف الناس، ممن تأخذ منهم الجزية، فقد اتفق الفقهاء على جملة من الشروط، أولها البلوغ، والحرية، والذكورية[3]، فهي لا تجب على الصبيان ولا على النساء[4]، ويظهر ذلك في قول مالك مالك ﷺ" **قضت السنة أن لا جزية على نساء أهل الكتاب، ولا على صبيانهم، وأن الجزية لا تؤخذ إلا من الرجال الدين قد بلغوا الحلم**"، وروي أسلم عن عمر ﷺ كتب إلى أمراء الأجناد" **لا تضربوا الجزية على النساء والصبيان، ولا تضربوها إلا على من جرت عليه المواسي**"[5]، واختلف الفقهاء في هؤلاء: منهم المجنون والمقعد، وذوي العاهات كالأعمى، والشيخ الذي لا قدرة له على العمل، والمترهبين في الأديرة إلا إذا كان غنيا من الأغنياء[6]، وتبقى كل هذه المسائل اجتهادية ليس فيها توقيت شرعي. وذكر أن أول من دفع الجزية لرسول ﷺ هم أهل نجران، ولقد جاء في كتاب الأموال لصاحبه أبي عبيدة " أول من أعطى الجزية أهل نجران، وكانوا نصارى"[7]

---

[1]- سورة التوبة : الآية 29.

[2]- علي بن عبد الرحمن الطيار، المرجع السابق ، ص 55.

[3]- وهبة الزجيلي، **الفقه الإسلامي وأدلته**، سوريا، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1985، ط2،ج6،ص 444.

[4]- أبو الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن رشد الحفيد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، مصر، مكتبة بن تيمية، 1994، ط1،ج2، ص 378.

[5] **المواسي**:كناية عن أنها الا تجب إلا على الرجل، وذلك إذا نبت شعره .أنظر: السيد السابق، **فقه السنة**، مصر، الفتح للإعلام للإعلام **العربي**، د،ت، د،ط، ج3، ص50.

[6]- نفسه، ص 51

[7]- أبو عبيد القاسم بن سلام،**كتاب الاموال**، تح: مُحَمَّد عمارة، لبنان، دار الشروق، 1989،ط1، ص 100.

وروي عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر[1]، وأخذها من مجوس البحرين ، على ألا تؤكل ذبائحهم وتنكح نساؤهم [2].

أما عن مقدار الجزية فلم يكن ثابتا أو محدداً، فقد اختلف باختلاف الزمان والمكان، فكانت معاهدات الصلح بين العرب والمسلمين وأهل الذمة تحدد هذا المقدار، ولقد اختلف الفقهاء في مقدار الجزية :

**ذهب الحنفية:** على أن الجزية تكون حسب المأخوذة منه، بحيث على الموسر ثمانية وأربعون درهما، وعلى الوسط أربعة وعشرون درهما، وإن كان عاملاً فقيراً محتاجا فعليه اثنا عشر درهماً، ومنع من الاجتهاد فيها[3].

و**ذهب المالكية:** إلى أن مقدار الجزية يكون أربعين درهماً، أما فيما يخص الفقير فيكون حسب مقدوره حيث يقول ابن رشد في كتابه بداية المجتهد: ( فرأى مالك أن القدر الواجب في ذلك هو ما فرض عمر ﷺ وذلك على أهل الذهب أربعة دنانير، وعلى أهل الورق أربعون درهماً، وهي موكلة إلى الاجتهاد في الطرفين[4].

**بينما ذهب الشافعية:** على أنها مقدرة الأقل، وأقله دينار أو يتخير بين اثنتي عشرة نقرة في السنة، ويمكن للإمام الزيادة فيها ما شاء، ولا يجوز الاقتصار على أقل دينار[5].

---

[1] – **هجر**: بلد في جزيرة العرب : أنظر: السيد السابق، المرجع السابق، ص 49.

[2] – أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق، ص 105

[3] –أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم،**كتاب الخراج**، لبنان، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1979، ط1،ص 122.للمزيد أنظر: الموفق بن مُحَمَّد بن قدامة، **المغنى**، تح: عبد بن حسن التركي، السعودية، دار عالم الكتب، 1997،ط3،ج 13، ص 209.

[4] – أبو الوليد بن رشد الحفيد، المصدر السابق، ص 378.

[5] –أبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد الغزالي، **الوجيز في فقه الإمام الشافعي**، تح: علي معوض، عادل عبد الوجود، لبنان، دار بن الأرقم، 1997،ط1،ج 2،ص 199.

**وذهب الحنابلة:** على أن مقدارها يرجع إلى اجتهاد الإمام سواء في الزيادة أو النقصان بشرط بذل الجزية [1] .

ويرجع سبب الاختلاف إلى اختلاف الآراء في هذا الباب، حيث ذكر القرشي في كتابه الخراج أن الرسول لما بعث إلى معاذ وهو باليمن، وأمره أن يأخذ الجزية من كل حالم دينار، أو ما يعدله من معافر، والمعافر ثياب تصنع في اليمن[2].

أما موعد دفع الجزية، فكان كثيراً ما يؤخر حتى تنضج المحصولات الزراعية ، فقال أبو عبيدة " وإنما وجه التأخير إلى الغلة للرفق بهم"[3]، وكان ذلك بحلول كل سنة.

وعليه فإن الدين الإسلامي لم يفرض الجزية على الذميين عقابا لهم بل لبقائهم وسكناهم في دار الإسلام وإقرارهم على دينهم، بل كانت ضريبة قائمة على العدل بكل صوره، فالحياة في كل المجتمعات تقوم على أساس الحقوق والواجبات، فلقد تمتع أهل الذمة بالكثير من الحقوق، وعاشوا تحت ظل التسامح الإسلامي الذي لم يجدوا مثله في كل العصور السابقة.

فالجزية ذلك المقدار البسيط الذي يدفعونه سنويا، مقابل ما يدفعه المسلمون من زكاة وخدمة عسكرية ذلك أن الذمي معفى منها، ولا ترفع عنه إلا بإسلامه أو وفاته .

يعتبر مصطلح أهل الذمة من أبرز المصطلحات التي أطلقت على اليهود والنصارى وممن كان لهم كتاب سماوي بما في ذلك المجوس الذين كان فيهم اختلاف ويقال أن المجوس كان لهم كتاب إلا أنه رفع عنهم وذلك لأمر أحدثوه، وترتبط الجزية ارتباطا وطيدا بالمصطلح الآنف الذكر حيث إنه كل يهودي أو نصراني لا يدفع الجزية لا يعتبر ذميا في دار الإسلام، وبذلك تكون الجزية شرط من شروط إقامة الذمي في الدولة الإسلامية وكنتيجة حتمية لدفع الجزية كان لهم حقوق وواجبات.

---

[1]- علاء الدين أبي الحسن بن سليمان المرداوي، **الإنصاف**، تح: مُحَمَّد حامد الفيقى، د،ب، مطبعة السنة المحمدية، 1956،ط1، ج4، ص 193.

[2]- يحي بن أدم القرشي، **كتاب الخراج** ،تح: حسين مؤنس، مصر، دار الشروق،1987، ط1، ص 108.

[3]- أبو عبيد القاسم بن سلام، المصدر السابق ، ص 119.

## المبحث الثاني :هجرات أهل الذمة واستقرارهم بالمغرب الأوسط :

شهدت بلاد المغرب طيلة فتراتها التاريخية سواء القديمة أو الوسيطة العديد من الهجرات البشرية من البلدان المجاورة لها أو البعيدة، مما جعل منها منطقة متعددة الديانات بحكم اختلاف الأجناس البشرية.

ولقد عرفت جغرافية المغرب الأوسط كغيرها من بلدان المنطقة الكثير من الهجرات خاصة القادمة من الضفة المقابلة لها حيث استقبلت الكثير من المسيحيين واليهود بسبب الاضطهادات التي لحقت بهم، ولما وجدت هذه الطوائف من تسامح وحسن معاملة خاصة بعد الفتح الإسلامي وانتشار الإسلام في المنطقة، وحثه على التسامح مع أهل الذمة .

وعليه سنحاول في هذا المبحث أن نسلط الضوء على الهجرات التي عرفها المغرب الأوسط سواء المسيحية أو اليهودية.

### أولا: الهجرات المسيحية[1]:

عرفت منطقة المغرب الاسلامي بصفة عامة حركات تنصيرية فقُربها من أوروبا جعلها عرضة لانتشار الدين المسيحي[2]، وكان أول من أدخل النصرانية الى بلاد المغرب القرطاجيون خلال القرن2م ولقد شهدت مدنه إقبالا كبيرا لاعتناقها[3]، بحيث أقيمت عدة كنائس خاصة في الشريط الساحلي في

---

[1]-**المسيحية**: في لفظة المسيحية ستة أسماء، الأولى قيل من أنه لم يكن لقدومه أخمض، وقيل أنه لايمسح بيده ذا عاهة إلا برأ، وأنه مسح بالبركة، وقيل أن معناه الصديق، والخامس أنه يسمح في الارض أي يقطعها، وقيل انه خرج من بطن أمه ممسوحا بالدهن للمزيد أنظر: أبو الفرج الجوزي، **زاد الميسر في علم التفسير**، لبنان، دار بن حزم ،2002، ط1، ص ص 194-195. ويرادف كلمة المسيحية **النصرانية** ويقصد بها من ناصروا عيسى عليه السلام وتناصرهم فيما بينهم، ويقال نسبة إلى بلدة الناصرة في فلسطين التي ولد فيها المسيح. للمزيد أنظر: ناصر بن عبد الله القفاري، **الموجز في تاريخ الاديان المعاصرة**، السعودية ، دار الصميعي،1992، ط1، ص 64.

[2]- كمال مُحَّد جاه الله، **الحراك التنصيري في الأقاليم الإفريقية**، مجلة قراءات إفريقية، انجلترا، العدد10، 2011، ص 4.

[3]- وزارة الأوقاف، **حضارة المغرب في العهد الرومان**، مجلة دعوة الحق، المغرب،العدد66، د،ت ،ص 34.

المغربين الأوسط والأقصى حتى مدينة طنجة[1] إلا أنها كانت بصورة سطحية[2]، وما يدعم قولنا عن انتشار المسيحية منذ عصور سحيقة هي الرواية التي تقول أن والدة القديس أوغسطين بربرية الأصل وبهذا يكون الدين المسيحي قد انتشر بين أوساط[3] البربر[4].

وتشير المصادر التاريخية أن القديس أغسطين[5] كتب للبابا سلستيان مطالبا بتعيين أسقف لرعية فوسالا وهي مكان ليس ببعيد عن مدينة بونة (عنابة) فهذه إشارة قوية ودليل قاطع على أن أتباع هذا الدين كانوا بكثرة في هذه المناطق[6].

وتمركز المسيحيون في كثير من مدن المغرب حيث يقول صاحب كتاب الاستبصار عن مدينة باجة :"....وبها أثار للأول، ومن كنائس قائمة البنيان محكمة العمل كأنها رفعت عنها الأيادي بالأمس، وفي هذه الكنائس أعجوبة "[7]، كما سكنوا بلاد الجريد[8] التي كان جل سكانها من بقايا

---

[1]- **طنجة:** مدينة كبيرة أزلية، فيها أثار كثيرة للأول وقصور وأقباء و غيرها، ويقال أن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم كانت دار مملكتهم طنجة. المجهول، **الإستبصار في عجائب الامصار**، تع: سعد زغلول عبد الحميد، المغرب ، دار النشر المغربية، 1985، ط1، ص ص 138-139.

[2]- بديعة الخرازي، **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأوسط**، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، 2007، ط1، ص 14.

[3]- وزارة الأوقاف، المرجع السابق، ص 34.

[4]- **البربر:** اتفق علماء النسب على أنهم يجمعهم جدمان عظيمان وهما برنس ومادغيس ويلقب مادغيس بالأبتر فذلك يقال لشعوبه البتر ويقال لشعوب برنس البرانس، ويقال أن إفريقش بن قيش بن صيفي من ملوك التبابعة لما غزا المغرب وإفريقية ، ولما رأى هذا الجيل قال: ما أكثر بربرتكم، فسموا بالبربر، والبربر بلسان هي اختلاط الأصوات غير المفهومة. أنظر: ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص 117.

[5]- ولد في طاجسطا (سوق اهراس اليوم) في سنة 354م، من اب وثني وأم مسيحية، درس الخطابة في ميلانوا، وإعتنق المسيحية، ثم عاد إلى هيبونيس( عنابة) التي أسس فيها رهبانيته التي أخدت إسمه، وله عدة مؤلفات منها: الإعترافات سنة 400م، وكتاب مدينة لله. للمزيد أنظر: جورج طرابيشي، **معجم الفلاسفة**، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر،2006، ط3، ص ص 117-122.

[6]- أ.ف غوتيه، **ماضي شمال إفريقيا، تر:** هاشم الحسيني، ، د،ب، مؤسسة الثالوت الثقافية،1970، ط1 ، ص ص 70-71.

[7]- مجهول، **الإستبصار**، المصدر السايق، ص 160.

[8]- **بلاد الجريد:** منطقة صحراوية في أقصى جنوب القطر التونسي الحالي. أنظر: التنسي، المصدر السابق، ص 285.

الروم ومع مجيء الإسلام بنى المسلمون بإزاء كل كنيسة مسجدًا[1].كما انتشروا في الصحراء الليبية في كل من البهنسي التي دخلها رجل فوجد فيها عيدًا للنصارى[2]، ومدينة سرت[3] واجنادين التي كانت كانت شاهدة على واقعة بين المسلمين والنصارى[4]، أما برقة[5] وطرابلس[6] وجدت فيها عناصر نصرانية، والفرفرون البلد الكثير الأشجار والنخيل التي تضمنت قراها أهالي من الأقباط والنصارى[7].

[1]- أبو مُحَمَّد عبد الله بن مُحَمَّد بن أحمد التيجاني، رحلة التيجاني، تق: حسن حسني عبد الوهاب، ليبيا، الدار العربية للكتاب،1981، ط1، ص ص 159-162.

[2]- ابو عبيد البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب**، مصر، دار الكتاب، د، ت، ط1، ص 14.

[3]- **سرت:** مدينة على الساحل الرومي بين برقة وطرابلس الغرب لا بأس بها وفي سمتها من ناحية الجنوب في البر أجدابية ومنها يقصد إلى طرابلس الغرب أنظر: ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي، **معجم البلدان، لبنان**، دار صادر، 1977، ط1، ج3، ص 206

[4]- الحميري، المرجع السابق، ص 123.

[5]- **برقة:** بفتح أوله والقاف، اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى من بين الإسكندرية وإفريقية، وارض برقة خلوقية ويحيط بها البربر من كل جانب، وفي برقة فواكه كثيرة وخيرات. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج1، ص ص 388- 389. و مجهول، **الإستبصار**...، ص 143.

[6]- **طرابلس:** مدينة قديمة جليلة على ساحل البحر، آهلة وعامرة وأهلها أخلاط من الناس افتتحها عمرو بن العاص سنة ثلاث وعشرين في خلافة عمر بن الخطاب وكانت أخر ما افتتح من المغرب للمزيد أنظر: أحمدبن أبي يعقوب اسحاق اليعقوبي، **البلدان**، تح: مُحَمَّد امين ضناوي، لبنان، دار الكتب العلمية، د،ت، ط1، ص 184. والحموي، المصدر السابق،ج4، ص 25. وابو القاسم بن حوقل النصيبي، **كتاب صورة الأرض**، لبنان، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، 1992،ط1، ص 71. ومجهول، **الإستبصار**...، المصدر السابق، ص 110.

[7]- أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن مُحَمَّد البكري، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، لبنان، دار الكتب العلمية،2003 ، ط1، ج2، ص 186.

كما استقروا في[1] طبنه[2]. وبلاد الزاب[3]ومدينة بغاية التي كان الجند والعجم فيها من بقايا الروم[4].كما استوطنوا مدينة سبتة التي كانت بها كنيسة وهي الآن جامع[5]، كما أطلق على أحد أبواب مدينة فاس[6] باب الكنيسة[7]، وسكنوا مدينة الجزائر بني مزغنة التي وجدت بها كنيسة عجيبة البنيان[8] .

ولقد تميزت تلمسان بموقعها الاستراتيجي الذي يساعد العنصر البشري على مزاولة الأنشطة التجارية، مما جعلها منطقة استقطاب للأقليات المسيحية التي اشتهرت باشتغالها للنشاط التجاري[9].

[1]- إبن عداري المراكشي، **البيان المغرب في إخبار الأندلس والمغرب**، تح:ج.س كولان، إ.ليفي بروقنسال، لبنان، دار الثقافة، د،ت ،ط1، ج1، ص 141.

[2]- **طبنة:** بلدة في طرف افريقية مما يلي المغرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصيرن وليس بين القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها. أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج4، ص 21. و مجهول، **الأستبصار**...، المصدرالسابق، ص 172. و بن حوقل، المصدر السابق، ص 85.

[3]- **الزاب:** على أطراف الصحراء في سمت البلاد الجريدية من عمل إفريقية وهو مثلها في حر هوائها وكثرة نخيلها، وهو مدن كثيرة وأنظار واسعة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة ومن مدنها المسيلة ونقاوس وطبنة وبسكرة. أنظر: الحميري، المصدر السابق، ص 281. والتنسي، المصدر السابق، ص 285. واليعقوبي، المصدر السابق، ص 190.

[4]- إسماعيل العربي، **المدن المغربية**، الجزائر، المؤسسة الوطنية ، د،ت، ص178.

[5]- مجهول، **الأستبصار**..، المرجع السابق، ص 137.

[6]- **فاس:** مدينة جليلة يسقيها نهر وهي جانبان يليهما اميران مختلفان وبين أهل الجانبين الفتن الدائمة والقتل الذريع المتصل احدثها ادريس بن ادريس. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 89.

[7]- البكري: **المسالك**....، المصدر السابق، ص 299.

[8]- مجهول: **الإستبصار**..، المصدر السابق، ص 137.

[9]- عبد العزيز الفيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، الجزائر، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، 2012، ط1، ص ص 64-65.

**ثانيا: الهجرات اليهودية:**

**ا- الهجرة الأولى:**

تذكر الروايات التوراتية أن أغلب هجرات اليهود[1] انطلقت من فلسطين فكان ذلك خلال عهد الملك داوود عليه السلام نتيجة حروبه، فعلى إثرها هاجر اليهود إلى مصر التي لم تكن الصدر الرحب فتوجهوا منها الى بلاد المغرب[2]، فحملوا معهم ديانتهم فعملوا على نشرها بين شعوب المغرب[3].

وبعد موت داوود خلفه ابنه سليمان (961ق.م-922ق.م)على عرش اسرائيل ومن أهم منجزاته بناء الهيكل الذي استغرق بناؤه 7سنوات وبدأ في بناء مملكته في السنة الرابعة وهي السنة 480لخروج بني إسرائيل من مصر[4]، ولقد كان للملك سليمان علاقات وروابط مختلفة مع شعوب مجاورة فصار صديقا لملك مصر وجمعتهم روابط مصاهرة، وامتدت مملكة إسرائيل في عهده من دمشق ومصر ومن البحر الأبيض المتوسط إلى تخوم البادية الشرقية[5]، ثم تلتها الهجرة الثانية التي كانت إثر هجوم بنوخذ نصر[6]على مملكة تهودا 608 ق.م، ومملكة إسرائيل فاحتلهما وواصل زحفه فاحتل

---

[1]- **اليهود**: وفي شرح معني كلمة "يهود" من الهوادة وهي المودة أو التهود وهي التوبة كقول موسى " إنا هدنا إليك ..للمزيد أنظر: أنظر: مُحَمَّد خليفة حس أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، مصر، دار قباء للطباعة والنشر، 1998،ط1، ص 49. واستعمل مصطلح "يهود" أو "يهودي" أول مرة قبل البابليين إشارة إلى من جئ بهم يهوذا وهو الاسم الكنعاني لمنطقة أورشليم ..للمزيد أنظر: جودي السعد، **أوهام التاريخ اليهودي**، عمان، الاهلية للنشر والتوزيع،1998، ط1، ص 147.

[2]- فراخ السواح، **أرام دمشق وإسرائيل في التاريخ والتاريخ الثوراتي**، سوريا ، دار علاء الدين،1995، ط1، ص ص128-133.

[3]- مارمول كربخال، **إفريقيا**، تر: مُحَمَّد حجي، المغرب، دار المعرفة للنشر والتوزيع ، 1989 ط1، ج2، ص ص 19-20.

[4]- مصطفي كمال عبد العليم، سيد فرج راشد، **اليهود في العالم القديم**، سوريا، دار القلم،1995 ، ط1، ص 81.

[5]- جوستاف لوبون، **اليهود في تاريخ الحضارت الأولى**، تر: عادل زعيتر، مصر،دار طيبة للطباعة،2009،ط1، ص 58.

[6]- **نبوخد نصر**:NEBUCHADNEZZAR أشهر ملوك الدولة الكلدانية، خلف أباه نبوبولصر في الحكم دام 43سنة 43سنة بين سنة 605و526ق.م قضاه في التوسع، قد خاض نبوخد نصر معارك عديدة حقق له ابعاد النفود المصري، ومن حملاته حملتاه على مملكة تهودا في سنة 597ق.م ثم في سنة 586ق.م .للمزيد أنظر: أحمد سوسة، **العرب واليهود في التاريخ**، سوريا، العربي للإعلان والطباعة والنشر، 1973،ط2،ص 500..

أورشليم[1] سنة 587 ق.م، وأحرق هيكل سليمان، وهدمه ودمر منازل أورشليم، وأخذ ما بقي من بني إسرائيل عبيدًا إلى بابل وهذا ما يعرف وما يطلق عليه في التاريخ اليهودي بالأسر البابلي[2]، ولقد اختلفت المصادر حول تعداد أفراد السبي فيذكر سفر الملوك الثاني أن عددهم 10 ألاف من الصناع والحرفين والجبابرة، ثم ذُكر في نفس الإصحاح أن عددهم 8 ألاف أما سفر أرميا ذكرت ثلاث حالات، حيث بلغ عددهم في السنة السابعة 323 ألف فرد [3]، وفي السنة الثامنة عشر كان عددهم 830 ألف، وفي سنة الثالثة والعشرين كانوا 745 ألف فرد، أما من أفلت من الأسر هاجر إلى بلاد المغرب [4]، فاستقروا بمدينة طلميثة [5].

ب- **الهجرة الثانية:**

جاءت هجراتهم مع الفينيقيين مند القرن 12 ق.م[6]، الذين حلوا في بلاد المغرب التي كان يطلق عليها في ذلك الحين[7].بلاد ترشيش[8].

---

[1]- **أورشليم:** هي كلمة مركبة من " أور" بمعني موضع أو مدينة و "شاليم" وهو إسم إله وثني لسكان فلسطين الأصلين هو " إله السلام " ولقد إختلف الكتاب في إسمها بحيث يقال أن كلمة " أور" معناها الميراث، فيكون معني أورشليم بمعني الميراث السلام ..للمزيد أنظر: صابر طعيمة، **التاريخ اليهودي العام**، لبنان، دار الجيل ، 1991، ط3، ص 137

[2]- محمود عبد الرحمن قدح، **موجز تاريخ اليهود والرد على بعض مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية**، السعودية، العدد 10، د،ت، ص 257.

[3]- مصطفي كمال عبد العليم، سيد فراج راشد، **اليهود في العالم** .....،رجع السابق، ص 167.

[4]- عبد اللطيف محمود البرغوني، **تاريخ الليبي القديم من أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي**، لبنان، دار صادر، 1971، ط1، ص 299.

[5]- **طلميثة:** وهي لقبيلة من البربر متعربين يقال لهم مزاتة و زويلة و فزارة وهم يركبون الخيول ويعتقلون الرماح..: أنظر: الإدريسي: **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 2000، ط1، ج 1،ص ص 313-315-316. وابن سعيد المغربي، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، لبنان، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، 1970، ط1، ص 147.

[6]- مُحَمَّد الصغير غانم، **التوسع الفينيقي في الغرب البحر المتوسط**، لبنان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، 1982،ط2، ص94.

[7]- كونتنو، **الحضارة الفينيقية**، تر: مُحَمَّد عبد الهادي شعيرة، مصر، مركز كتب الشرق الأوسط ، 2001، ط1، ص 96.

[8]- **ترشيش:** بالفتح، هو اسم مدينة تونس التي بإفريقية وقيل هو اسم تونس بالرومية للمزيد أنظر: الحموي، المصدر السابق، ج2،ص 22. والحميري، المصدر السابق، ص 132.

ولقد توغلت الفئات اليهودية ذات الأصول الفينيقية أو المتأثرة بالفينيقيين إلى داخل بلاد البربر بين الكثير من قبائل الأطلس وقبائل جنوب المغرب الأقصى[1].

ولقد تمكنت هذه الجاليات من تكوين روابط وصلات وثيقة فيما بينها بحيث استقرت بمحاذاة الطرق التجارية العالمية[2]، ولقد تمكن العالم الأثري( ألم طراد بل )سنة 1935م، من العثور على آثار لمعبد يسمي زحل، والذي يعود للطراز الكلاسيكي الذي عرفت به المعابد الفينيقية[3]،كما عثرت بعثة بعثة جامعة مانشستر على مصباح نقشت عليه صورة الشمعدان اليهودي ذي سبعة فروع[4]، وكذا عثر على بقايا شاهد قبر السيدة يحمل جملا عبرية[5]، ولقد وطد اليهود تواجدهم في بلاد المغرب خاصة في العهد الفينيقي واتضح تأثيرهم في تهويد بعض قبائل البربر البتر حيث يقول ابن خلدون في هذا الشأن " إن الدين اليهودي أخذه البربر عن بني إسرائيل وانتشر بين عدد من القبائل مثل قبيلة نفوسة من بربر إفريقية، وقندلاوة، بهلولة وغياتة، وبنو فازان من بربر المغرب الأقصى"[6]، ولقد برزت في في سواحل الشمال الإفريقي في هذا العهد العديد من المراكز والمحطات والمدن بفضل الفينيقيين فأسسوا نحو الثلاثمائة مركز ما بين مستودع تجاري، ونحو مائتي مدينة منها أيكوسيم (الجزائر)، وصلداي (يجاية)،كما استقرت أفواج منهم في المناطق الداخلية والصحراء منها تقاست ( سوق أهراس ) وتيفيست(تبسة)[7]، إلا أن هذه المعطيات بقت محل انتقاد من طرف الأستاذ "مانسو"

[1]- موريس لومبارد، **الإسلام في مجده الأول**، تر: إسماعيل العربي، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ط1، ص 83

[2]- نفسه، ص 305.

[3]- عطا علي مُحَمَّد شحاته ريه، **اليهود في المغرب الاقصى في عهد المرينيين والوطاسيين**، سوريا، دار الكلمة للطباعة والنشر والتوزيع ، 1999،ط1، ص25.

[4]- عبد اللطيف محمود البرغوني، المرجع السابق، ص 298.

[5]- عطا شحاته ريه، المرجع السابق، ص 25.

[6]– أبن خلدون، المصدر السابق، ج 6، ص ص 140-141.

[7]– عبد الرحمان الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، لبنان، دار الثقافة ، 1983، ط6، ج1، ص ص48-49.

Monceaux الذي قال:" ليس لدينا عن اليهود في هذا العهد معلومات دقيقة" و يجيب عن هذا السؤال بقوله " لا يمكن الجزم بذلك إلا بظهور اكتشافات أثرية جديدة "[1].

### ج- الهجرة الثالثة:

يعد العهد الروماني من أكثر العهود وضوحا للهجرات اليهودية التي لم تكن معالمها واضحة قبل هذا العهد، ولقد كثرت الهجرة اليهودية خاصة في الثلث الأخير من القرن الأول الروماني[2]، وكان السبب الرئيس في هجرتهم هو ذلك الاضطهاد الذي لحقهم من طرف الرومان، ففروا من فلسطين قاصدين بلاد المغرب التي كانت الملاذ الآمن من بطش الرومان وسياستهم الاضطهادية، فتوغلوا في المناطق الداخلية مخالطين بذلك قبائل البربر البترية[3]، وازداد تواجد العنصر اليهودي بالمغرب مع ازدياد ازدياد الاضطرابات والأزمات التي كانت تجتاح فلسطين[4]، خاصة عندما قام الإمبراطور جابوس (37- 41م) بتخريب أورشليم[5]، فانتقل العديد منهم إلى صحراء ليبيا متمركزين في منطقة برقة شرقي شرقي ليبيا[6].

ولقد قام اليهود بالعديد من الثورات ضد الحكومة الرومانية فثاروا في برقة سنة 115م، وفي فلسطين سنة 135/132م، فكانت نتيجة تلك الثورات أن شتتهم الإمبراطورية الرومانية في مستعمراتها في كل من إفريقيا وأسيا وأوروبا[7]، أما ثوراتهم التي بددت ملكهم وشتتهم، كانت ثورة أغسطس سنة 70م التي سقطت فيها أورشليم في يد الرومان، ودمر الهيكل عن آخره و لم يقم له

---

[1]- مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، 2009، ط2، ص 20.

[2]- نفسه، ص 23.

[3]-عطا شحاته ريه، المرجع السابق، ص 26.

[4]- أحمد الشحات هيكل، **يهود المغرب وعلاقتهم بالحركة الصهيونية**، سلسلة الدراسات الدينية والتاريخية، مصر، العدد 35، 2007، ص 14.

[5]- عطا شحاته ريه، المرجع السابق، ص 26.

[6]- أحمد الشحات هيكل، المرجع السابق، ص 14.

[7]-عبد اللطيف محمود البرغوني، المرجع السابق، ص 266.

قائمة منذ ذلك الحين، فتفرقوا في بقاع الأرض وكان لجغرافية المغرب نصيب منهم حيث انتشروا في الصحراء الليبية[1].

وما زاد من توافد اليهود على المغرب في تلك العصور هو القرار الذي أصدره الإمبراطور قسطنطين ( 324- 337م ) الذي أطلق لليهود حقوق المواطنة من الدرجة الثانية[2] .

### د- الاستقرار اليهودي في المغرب الأوسط:

كان مجيئهم إلى الشمال الإفريقي في هجرات متقطعة كان أولها صحبة الفينيقيين[3]، حيث احتكروا التجارة مما أدى بهم إلى إنشاء مراكز تجارية على طول الشريط الساحلي مثل بجاية وتنس[4] وشرشال[5] ولقد ذكر العديد من المؤرخين و الجغرافيين عن تواجد الجاليات اليهودية في المغرب الأوسط الأوسط خاصة بعد الفتح الإسلامي، فاستقروا في العديد من مدنه الشمالية والجنوبية التي تمر بها القوافل التجارية منها مدينة بجاية قاعدة المغرب الأوسط[6]، التي وصفت من طرف الجغرافيين أنها مدينة تجارية حيث قال فيها صاحب كتاب نزهة الأنظار " ...السفن إليها مقلعة وبها القوافل منحطة، والأمتعة إليها برا وبحرا، والسلع إليها مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير ..."[7] .

---

[1]- مصطفي كمال عبد العليم، **اليهود في مصر في عصر البطالمة والرومان**، مصر،مكتبة القاهرة الحديثة، 1968، ط1،ص 170.

[2]- عادل سعيد بشتاوي، **الأندليسون المواركة**، مصر، مطابع انترنا شونال، 1983، ط1، ص 220.

[3]- عبد الله أيت إيشو، **معالم من حياة اليهود المغاربة**، مجلة كان التاريخية، إنجلترا، العدد 3، 2009، ص 14.

[4]- **تنس**: مدينة أزلية بقرب مدينة مليانة بينهما البحر وهي مسورة حصينة وبعضها على جبل وقد أحاط به السور بها فواكه وخصب وإقلاع، وبها حنطة ممكنة وسائر الحبوب بها موجودة. للمزيد أنظر: الحميري: المصدر السابق، ص 138.والتنسي: المصدر السابق ، ص 296. ومجهول، **الإستبصار**..، المصدر السابق، ص 133.

[5]- صالح فركوس، **المختصر في تاريخ في الجزائر من العهد الفينيقيين إلى الفرنسيين( 814هـ/ 1962م)**، الجزائر، دار العلوم للنشر والتوزيع، 2003، ط1، ص 15.

[6]- ابن سعيد المغربي، المصدر السابق، ص 142.

[7]- محمود مقديش، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزواري، مُحَمَّد محفوظ، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1988 ط1، مج1، ص 93.

ولممارسة اليهود التجارة قطنوا المراكز والطرق التجارية[1]، أما مدينة تنس الواقعة بمحاذاة ضفة البحر أسسها وبناها الأندلسيون سنة 262م، واتخذوها قاعدة لتجارتهم مع بلاد المغرب[2]، وأصبحت من أهم المدن التي ترسى فيها مراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها وإلى ما سواها [3] .

وقلعة بني حماد[4] التي شيدت على يد بلكين[5] سنة ( 398هـ/1007م)[6]، وعلى الرغم من أن أن المدينة لم تعمر طويلا سوى ستة عقود[7]، إلا أنها كانت مرتع اليهود واستقرارهم، حيث برز فيها العالم إسحاق بن سليمان الإسرائيلي[8]، كما كانت مقصد التجار من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب[9].

كما توطن اليهود في المدينة الصنهاجية أشير[10] التي عمرها زيري بن مناد الصنهاجي[1] سنة 324م[2]، 324م[2]، ويقال أن لفظة أشير جاء ذكرها في الثورات (أشير) وهي اسم لقبيلة يهودية قديمة، ومما لا

---

[1]– عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي (22–462هـ/ 642–1070م)**، مصر، عين للدراسات والبحوث الإنسانية و الإجتماعية، 2001، ط1، ص 43.

[2]– ابي عبيد البكري، **المغرب** .....، المصدر السابق، 61.

[3]- بن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

[4]- **قلعة أبي الطويل**: وهي قلعة بني حماد، وهي مدينة عظيمة قديمة أزلية على نظر عظيم كثير الزرع وجميع الخيرات على جبل عظيم، وكانت مملكة بني حماد من صنهاجة. أنظر: مجهول: الإستبصار..، المصدر السابق، ص 167.

[5]- **بلكين**: هو أبو الفتوح بلكين بن زيري بن مناد الحميري الصنهاجي، وهو جد باديس ويمسي أيضا يوسف لكن بلكين أشهر الذي استخلفه المعز بن المنصور العبيدي على إفريقية عند توجهه إلى الديار المصرية وكان ذلك في 361هـ في ذو الحجة للمزيد أنظر: ابي العباس بن خلكان، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: احسان عباس، لبنان، دار صادر، 1970، ط1، مج1، ص 286.

[6]- إسماعيل العربي، **دولة بني حماد**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د،ت،د،ط، ص ص 119-120.

[7]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 43.0

[8]- رابح بونار، **المغرب العربي( تاريخه وثقافته)**، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1981،ط2، ص 98.

[9]- ابي عبيد البكري، المغرب .....، المصدر السابق، ص 49.

[10]- **أشير**: تعرف بأشير زيري مدينة قديمة فيها أثار عجيبة، وهي بين جبال شامخة، وبالقرب من المدينة بنيان عظيم يعرف بمحراب سليمان للمزيد أنظر: مجهول، **الإستبصار**..،المصدر السابق، ص 170. البكري، **المغرب** ..،المصدر السابق، ص 60.و الحموي: المصدر السابق، ج1، ص 202.

شك فيه أنه لا توجد تمة صلة بين القبيلة المذكورة في الثورات وبين اسم مدينة أشير التي بناها الصنهاجيون، وعندما أل الحكم لبلكين بن يوسف نقل عددا من السكان المتمردين في تلمسان ما بين 362/361هـ/ 972م، وكان من ضمنهم أعدادا من الجاليات اليهودية التي سكنت المنطقة[3].

أما تيهرت عاصمة الرستمين التي بُنيت على يد عبد الرحمان بن رستم[4] على مقربة من تيهرت القديمة[5]، أستوطنها اليهود حيث كانت قبلة الوافدين من كل الأقطار، وجمعتها علاقات تجارية مع السودان وسائر بلاد المغرب، وتزايد التواجد اليهودي في المنطقة خاصة عندما أصبحت العاصمة تحت حكم الفاطميين الذين أظهروا نوعا من التسامح مع هذه الفئة[6].

وتواجد اليهود في تلمسان عاصمة الزيانيين حيث كانت لهم دروب خاصة بهم، ويذكر ذلك صاحب كتاب البستان من خلال نصّ أورده " ...وذهب به إلى درب اليهود وأنزله عند اليهودية... فقال له يا سيدي تراه في درب اليهود عند اليهودية .." وهذا إن دل على شيء فهي إشارة واضحة على وجود اليهود في المنطقة[7]، وذكرها المقري في أحد أبياته الشعرية أن تلمسان كانت تحت حكم اليهود، وهذا يدل على كثرة اليهود بها وليس حكمهم عليها.

---

[1]- **زيري بن مناد الصنهاجي**: أول من ملك أيام العبيدين من صنهاجة، وهو زيري بن مناد بن منقوش بن زناك بن زيد الأصغر للمزيد أنظر: مُحَّد مقديش، المصدر السابق، ص 361.

[2]- الحموي، المصدر السابق ،ج2، ص 203 .

[3]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 46.

[4]- **عبد الرحمان بن رستم**: هوعبد الرحمن بن عبد الوهاب بن رستم بن بهرام بن ذو شرار بن سابور بن بابكان بن سابور. أنظر: البكري: المغرب..، المصدر السابق، ص 67.

[5]-أبي عبيد البكري، **المغرب**.....، المصدر السابق، ص ص 66-67.

[6]-عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص 47.

[7]-إبي عبد الله مُحَّد بن مُحَّد بن أحمد التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تح: مُحَّد إبن أبي شنب، الجزائر، المطبعة الثعالبية، 1908، ط1، ص 269.

فيقول:

من نظم الوادي اشئ المذكور قوله:

**تلمسان أرض لا تليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا**

**وكيف يحب المرء أرضا يسوسها يهود وفجار ومن ليس يرتضى**[1]

أما ورجلان الواقعة في جنوب المغرب الأوسط يذكرها الجغرافيون، أنها بلد خصيب كثير النخيل والبساتين، وردت بلفظة وركلان في كتاب الحميري الروض المعطار[2]، ومنها يدخل العبيد إلى بلاد المغرب الأوسط وإفريقية، وتعتبر معبر القوافل التجارية مع بلاد السودان، ولكونها منطقة تجارية جذبت إليها اليهود فاستوطنوها لانشغالهم بالتجارة[3] .

كما تواجد اليهود في إقليم توات[4] ويقال أن قصر تمنطيط[5] هم الذين بنوه، واستقروا في كل من من تاسفارت، وتيطاف، وتازوالت، ولقد عثر الرحالة قوتييه في غرم علي سنة 1321هـ/1903م على صورة لشاهدة حجرية منقوشة لقبر اليهودية التواتية المسماة "حنة بنت عمران".

وبهذا فقد عرف المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة العديد من الهجرات الذمية منها ما كان رفقة السفن التجارية ومنها ما كان نتيجة الاضطهادات التي مُورست عليهم فكان المغرب الاوسط وجهتهم وهذا لما رقيته هذه الفئة من تسامح سواء أفراد المجتمع وحتى

---

[1]-شهاب الدين المقري التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفي السقا وأخرون، المغرب، مطبعة فضالة، د،ت، د،ط، ج3، ص 307.

[2]- الحميري: المصدر السابق، ص 600.

[3]–ابن سعيد: المصدر السابق، ص 126.

[4]- أخذ أصل تسمية المنطقة جدل واسع وسط الباحثين والدارسين، حيث إنقسموا إلى شطرين الأول يرى بأن أصلها يعود إلى العربية و الثاني يرى بأنها بربرية الأصل: أنظر: عبد الله كروم، **الرحلات بإقليم توات**، الجزائر، دار النشر،2007، ط1،ص 21.

[5]-**تمنطيط**: تقع في الجنوب، جنوب مدينة أدرار، وأهم قصورها أولاد الحاج مأمون، أنكير، بالحاج، بوقادي ..أنظر: قومي مُحَمَّد: دور الطائفة اليهودية بتوات خلال القرنين ( 9-10هـ /15-16م)، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، إشراف: غازي الشمري، 2013-2014م، ص 66.

سلاطين الدولة الزيانية فتمركزوا في أغلب مدن الدولة مخالطين بذلك طبقات المجتمع الزياني مما سهل عليهم الخوض في أعمال عديدة تخص المجال السياسي والاقتصادي.

# الفصل الثاني:

## الجانب السياسي لأهل الذمة خلال العهد الزياني

## الفصل الثاني: الجانب السياسي لأهل الذمة خلال العهد الزياني

إن حث الإسلام على حسن معاملة الذميين في دار الإسلام جعل منهم فئة خاصة في المجتمع الزياني تحظى برعاية خاصة سواء من طرف أفراد المجتمع وحتى سلاطين الامر الذي أدى بهم لمخالطة السلاطين والوصول إلى مناصب في الإطار الحكومي لدولتهم.

### المبحث الأول: دور اليهود على الصعيد السياسي:

#### أولا: علاقة اليهود بسلاطين الدولة الزيانية ودورهم السياسي:

##### أ- علاقتهم بسلاطين الدولة:

عاش اليهود بجوار المسلمين وتحت حمايتهم، ممارسين بذلك شعائرهم الدينية بكل حرية وفق الشريعة الإسلامية في الوقت الذي كانوا يعانون فيه من الاضطهاد والتنكيل من قبل شعوب الدول الأوروبية المسيحية خاصة في العصور الوسطى، لدرجة أنهم كانوا منبوذين يسكنون في أحياء خاصة بهم مغلقة عليهم عُرفت بالغيطوا[1]، ومع إصرار الإسلام على وجوب الرفق بأهل الذمة وحسن معاملتهم من منطلق وصية الرسول ﷺ الذي قال: " ألا من ظلم معاهدا أو انتقصه وكلفه فوق طاقته أو أخذ شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة"، فعاشوا عيشة طيبة بصفتهم أهل ذمة[2].

ومع حسن المعاملة التي كانت من قبل المسلمين نال اليهود استحسان سلاطين بني زيان خاصة القادمين الجدد الذين استقبلوهم بطيب خاطر في تلمسان[3] إذ لم نعثر على وثيقة تدل على احتجاج المسلمين والسلاطين على قدومهم[4].

---

[1]- عطية القوصي، **اليهود في ظل الحضارة الإسلامية**، مصر، مركز الدراسات الشرقية، 2001، ط1، ص 12.

[2]- نفسه، ص 11.

[3]- روبار برنشفيك، **تاريخ افريقية في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15** ، تر: حمادي الساحلي ، لبنان، دار الغرب الإسلامي، 1988،ط1،ج1، ص 433.

[4]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في العهد الزياني**، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، 2000، ط1، ج 1، 194

وفي ظل التسامح الذي أظهرته الدولة الزيانية اتجاه اليهود استفادة هذه الأخيرة من الدعم المادي والمعنوي الذي لقوه من قبل سلاطينها[1]، بحيث سُمح لهم حق التملك فاشتروا المنازل والأراضي وشيدوا المباني، وصار لهم عبيد من غير المسلمين، وكانت لهم بيع ومدارس لأداء الفرائض الدينية وتعليم أطفالهم[2].

والملاحظ على اليهود الذين كانوا يقطنون تلمسان سكنوها خارج أسوارها، أما فيما يخص اليهود القدامى فقد وجدوا بحي بأكادير، وبعد توسط إفرايم النقاوة لدى العاهل الزياني سمح لهم بالتنقل إلى داخل أسوار المدينة مستقرين بذلك قرب قصر المشور ليكونوا بجوار السلطان وتحت مراقبته[3]، ولعل من أسباب استقرار اليهود أمام مقر السلطة راجع إلى تضايق المسلمين منهم ومن سلوكهم، ولما لقيته هذه الفئة من اهتمام زائد من قبل السلاطين الزيانيين، حتى وصل بهم الحال إلى تقليدهم مناصب حساسة في حكومتهم[4]، بحيث كانوا كثيرا ما يأخذون بآرائهم في الأمور السياسية والإدارية[5].

ولقد عبر العالم المغيلي الذي أثار ضجة لما آل إليه الوضع وتحكم اليهود في الكثير من الأمور ومشاركتهم في الأحكام، وتعامل السلطة معهم، حيث قال في هذا الشأن " ... ما يجب من الجزية والصغار، وما عليه أكثر يهود الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الاحكام الشرعية وتولية أرباب الشوكة، وخدمة السلطان ..." [6].

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق،ج1، ص 193

[2]- برونشفيك، المرجع السابق، ج1، ص 439.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**...،ج1، ص 194.

[4]- نفسه، ص 195.

[5]- عبد العزير الدوري، **اوراق في التاريخ و الحضارة**، لبنان، مركز دراسات الوحدة العربية، 2009،ط2، ص 130

[6]– ابو عبد الله عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح** ،تح: عبد الله حمادي الإدريسي، الجزائر، د،د، 2013، ط1، ص 39.

ولعل أبرز ما يبين لنا علاقة اليهود بسلاطين الدولة هو تواطؤ هؤلاء مع السلطة لعدم دفع الجزية التي تعتبر مصدر من مصادر بيت مال المسلمين وهذا تحايل على الشريعة الإسلامية.

ب- **دور اليهود في المجال السياسي:**

عرفت الدولة الزيانية العديد من الاضطرابات السياسية ولعل أهم ما كان وراء هذه الاضطرابات تعطش أبناء البيت الزياني للسلطة وتنافسهم عليها.

وتعتبر منطقة توات من أهم المناطق التابعة لسلطة الزيانيين فرغم بعد الإقليم عن السلطة المركزية في تلمسان إلا أن عدوى حب السلطة واعتلاء المناصب السياسية انتقلت لنواحي إقليم إذ يعتبر منصب قاضي الجماعة أعلى رتبة في المنطقة وكان إقليم تمنطيط مقرا له، وعرف هذا المنصب مكانة مهمة في المجتمع التواتي كما كان القاضي يحظى باحترام الجميع[1].

ولقد تداول على هذا المنصب العديد من العلماء خاصة الذين قصدوا المنطقة خلال القرن 9هـ/ 15م ومن أبرزهم أبو يحي المتياري الذي تولى القضاء عند دخوله أراضي الإقليم التمنطيطي سنة 815هـ/ 1412م وكذا العلامة سيدي يحي بن نذير وذلك عام 845هـ/ 1442م[2].

وللأهمية الي يشغلها المنصب سواء من الناحية الدينية أو السياسية جعل منه محل تنافس بين علماء المنطقة الذين اتخذوا كل السبل لظفر به ولعل الأمر الذي يلفت الانتباه هو ذلك الدور الذي أدّاه اليهود في هذا الصراع ووقوفهم إلى جانب أسرة عبد الله العصنوني التي استطاعت أن تحافظ على المنصب لمدة تفوق أكثر من المئة والخمسين عام، بحيث أن هذا الأمر لم يكن ليكون لولا مساعدة

[1]- فرج محمود فرج، **إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين**، الجزائر، ديوان المطبوعات ، 2007،ط1،ص 57.

[2]- محمد قومي، المرجع السابق، ص 100.

اليهود لهم باعتبارهم أصحاب نفوذ في المنطقة وهذا ما يفسر دفاع العصنوني عن اليهود فيما يخص بنازلة توات التي أُثيرت من قبل العلامة المغيلي[1].

وبهذا يكون منصب القضاء الذي يوظف فيه ذوو العلم والنباهة والذين خضعوا لقانون الوراثة داخل الأسرة الواحدة، نتيجة الدور الذي قام به اليهود ولعل أبرز ما يؤكد ذلك أنه عند اعتزال الشيخ مُحَمَّد بن أبي منصب القضاء لمزاولة النشاط التجاري ليتولى بعده ابنه الشيخ عبد الكريم بن مُحَمَّد واستمر الأمر على هذا الحال ليصل في أخر المطاف إلى الشيخ عبد الكريم بن البكري بن الشيح البكري بن عبد الكريم[2].

**ثانيا: اليهود في الإطار الدبلوماسي:**

**أ- دور اليهود دبلوماسيا:**

مارس اليهود في المغرب الأوسط كامل أنواع النشاط الاقتصادي الأمر الذي منحهم قوة مالية جعلت منهم أصحاب سلطة ونفود، وساهم هذا الثراء في إغراء الملوك والسلاطين، ولقد انعكس هذا النفود على الجانب السياسي، إلا أنهم لم يرتقوا لمناصب ادارية عليا في الدولة الزيانية عكس إخوانهم في الدولة المرينية، وهذا راجع لعدم السماح لهم باعتلاء مناصب سامية في الدولة العبد الوادية واقتصر دورهم في العلاقات الدبلوماسية.

لعب اليهود أدوارا بالغة الأهمية في المجال الدبلوماسي، حيث استعملوا كهمزة وصل بين الدول المسيحية والدولة الزيانية، فأرسلوا في العديد من المرات كمبعوثين دبلوماسين بين الطرفين، لإبرام اتفاقيات تجارية، أو معاهدات صلح، حيث أرسل كل من الملكين ألفونسو الثالث، ويعقوب الثاني عاهلا أرغونة على التوالي بعثة دبلوماسية إلى البلاط الزياني، مكونة من إبراهام وصمويل وبوندابي[3]

[1]- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 58.

[2]- نفسه، ص 59.

[3]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**.... ،ج1، ص 194.

كما استعمل "عثمان بن يغمراسن[1]" مراسلين دبلوماسيين إلى حاكم برشلونة تصدرها اليهودي إبراهام رفقة الفقيه التلمساني مُحَمَّد صبيح سنة (690هـ /1291م)[2]، وكانت هذه المعاهدة من أجل تجديد معاهدة 685هـ/ 1286م والتي كانت بين الملك الأرغوني والملك القشتالي سانشو الرابع وقد نصت هذه المعاهدة على تقسيم بلاد المغرب إلى مناطق نفوذ[3].

كما كان الملوك المسيحيون يتخذون بعض اليهود ممثلين لهم وسفراء لدى سلاطين تلمسان فألفونسو الثالث، وجالقمون الثاني ملكا أراغون استعملا اليهوديين إبراهم بن جلال، وبن دافي وساموال أعوانا مفاوضين في تلمسان وغرناطة [4].

ويمكن سبب استعمال اليهود في هذا المجال هو معرفتهم الواسعة ببلدان البحر الأبيض المتوسط بحكم رحلاتهم وتنقلاتهم، وكذا إتقانهم جملة من اللغات مكنتهم من البروز بقوة في هذا المجال .

## 1- جوسسة اليهود :

لم يخلو المغرب الأوسط طيلة فترات حكم الزيانيين من المؤامرات والدسائس ضد أمراء والسلاطين، حيث إن الدولة الزيانية مند بدايتها، وحتى في أواخر أيامها لم تلجأ إلى الجوسسة ضد أعدائها عكس المتربصين بها، أمثال الإسبان الذين عملوا على زرع جواسيس في وسط الحكم الزياني من العنصر اليهودي الذي استطاع الإسبان بفضله التعرف على أبرز خبايا الدولة ونقاط ضعفها، ولم

---

[1]- **عثمان يغمراسن**: هو أمير المسلمين أبو سعيد عثمان، بويع بعد أبيه، الهمام الأنجد ذو الهمم العلية، دوخ المعاقل والأمصار، فإستكثر الأنصار، انعقدت له البيعة في أوائل ذي الحجة من سنة 681هـ .للمزيد أنظر: التنسي: المصدر السابق، ص 129.

[2]- الفيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 194.

[3]- سميرة نمش، **دور أهل** ...، المرجع السابق، ص 83.

[4]-- عمر سعيدان، **علاقات اسبانيا القطلانية بتلمسان في الثلثين الأول والثاني القرن 14**، الجزائر، وزارة الثقافة، 2011،ط1، ص 26.

يتوقف دوره عند هذا الحد، بل تعدى إلى أبعد من ذلك إذ كانت جل المؤامرات التي دارت في البيت الزياني من تدبير اليهود[1].

وفي ظل الصراع الذي كان حاصلا بين الدولة الجزائرية الناشئة والإسبان على أملاك الدولة الزيانية، كان لليهود يد فيه حيث عملوا كجواسيس لصالح النصارى[2]، هذا ما أكدته الوثائق الإسبانية التي عثر عليها، والتي تبرز دور هؤلاء في تقديم معلومات ووثائق عن جنود الدولة الزيانية في كل من تلمسان ووهران، وذلك عن طريق الزيارات وتبادل الرسائل، والمبادلات التجارية التي جمعتهم بالإسبان[3].

وبحلول سنة 915هـ/1509م كان الكاردينال كزيمنيس قد أتم استعداداته العسكرية للتوجه لشن حملة على وهران، وكان له ذلك في منتصف شهر ماي من نفس السنة بصحبة بيردرو نافاروا فسار بحملة قوامها 15 ألف رجل متوجها إلى وهران مستعينا في ذلك على اليهودي الإشبيلي وبعض أعوانه، ففتحوا له أبواب المدينة غدرا وخديعة [4].

ولقد ظهر لليهود حضور قوي وبارز إذ باتوا يشاركون في الوفد الزياني والإسباني، فقال ابن القاضي في هذا الشأن " ... وفي سنة 917هـ/1511م دخل النصارى مع أبي يحي العقباني إلى تلمسان لأجل الصلح يوم الخميس آخر يوم من شهر ربيع الأول، فانعقد الصلح بين الطرفين بخمسة أعوام، ونودي يوم الأحد ثالث ربيع الثاني، وانتزع النصارى الأسرى من يد المسلمين أربابهم قهرا، أول يوم من جمادى الثاني يوم الثلاثاء وعددهم 87 أسيرا ...."[5].

---

[1]- مختار حساني، **الدولة الزيانية (الأحوال السياسية)** ، الجزائر، منشورات الحضارة ، 2007، ط1،ج1، ص 229.

[2]-- نفسه ، ج 3، ص 252.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ج3، ص 253.

[4]- يحي بوعزيز، **وهران**، الجزائر، طبع بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة العربية، 2007، ط1، ص ص 66-67.

[5]- مختار حساني، المرجع السابق ،ج1، ص 55

ويعتبر هذا النص الوحيد الذي تطرقت إليه المصادر العربية في إطار المعاهدات المبرمة بين الدولتين، عكس الإسبان الذين أوردت مصادرهم مجموعة من المعاهدات التي جمعت الدولة الإسبانية بالزيانية أو القبائل العربية وحتى البربرية، وحضور اليهود لمثل هذه المعاهدات راجع لمعرفتهم للغة وهذا النص برهان على اعتماد الأمراء على اليهود في هكذا أمور[1].

وتشير المصادر الإسلامية والإسبانية لاحتكار اليهود للاقتصاد الزياني، والعلاقات الطيبة التي جمعتهم مع الجاليات المسيحية الأمر الذي جعلهم يدبرون المكائد وعلى إثر ذلك سلمت مفاتيح وهران ودخل الإسبان المدينة من أوسع أبوابها، وهذا إن دل على أمر إنما يدل على الأخطاء المرتكبة من طرف سلاطين الدولة عامة، وقائد وحامي وهران بصفة خاصة ، فتمكن الإسبان من اقتحام أسوار المدينة سنة 915هـ/1509م[2].

## 2- دســـــائس اليهود:

عاشت الدولة الزيانية في آخر فترات حكمها الكثير من الاضطرابات، مما جعلها عرضة للاحتلالي الإسباني، الذي احتل مراكزها، واستغل الإسبان تواجد الجاليات اليهودية في المراكز المحتلة لصالحهم، وهذا ما نصت عليه الوثائق الإسبانية التي وجد في تقاريرها تعامل اليهود مع الإسبان، وهي الوثيقة التي يرجع تاريخها إلى سنة 946هـ/1539م، والتي كان من بين أحد بنودها تعامل هؤلاء مع حاكم وهران الكرديتي[3].

وخلال الصراع الدائر بين الإسبان والعثمانيين على أملاك الدولة الزيانية، كان لليهود يد فيه حيث عملوا كعيون لصالح الإسبان في الأراضي الزيانية، ولعبوا دورا أساسيا في أغلب مدنها بحكم العلاقات الحسنة التي كان اليهود يربطونها، وهذا ما أكدت عليه الوثائق التي أبرزت الدور الفعال

[1]- مختار حساني، المرجع السابق،ج1، ص ص 57-58

[2]- نفسه، ص 91.

[3]- نفسه،ج 2 ، ص 164.

الذي قام به اليهود بخصوص التقارير والمعلومات التي تم تقديمها للإسبان عن الأتراك بحكم تواجد هذه الفئة في كل من وهران وتلمسان والجزائر، وعلاقاتهم مع العثمانيين[1] .

والأمر الذي مكن اليهود للقيام بهذه المهمة هو العلاقات الجيدة التي ربطتهم مع أهالي المدن بخلاف الجالية المسيحية التي لم تكن منتشرة في كامل الشمال الإفريقي عكس اليهود الدين وجدوا في جميع أقطار المغرب فباتوا يقومون بأعمال غاية في الخطورة، وهذا ما يؤكده لنا الونشريسي في إحدى نوازله حيث قال فيها: "... ورد علينا يهودي فاشتغل بأعماله اليهود ثم اشتهر أمره شاعر وساحر ومهين للمسلمين مشيئة فانتهى أمره إلى أن نسب المسلمين بأن لا أصل لهم ولا حسب، ولا نسب وأن اليهود الهارونين رؤساء شرفاء، ومن سبهم من المسلمين يخلع لسانه من قفاه .."[2].

ومما خول لليهود هذه المكانة والحظوة هو إتقانهم للغة سواء العربية أو اللاتينية بحكم استقرارهم في كل من البلدان العربية أو الأجنبية، وهذا ما جعل السلاطين يعتمدون عليهم الأمر الذي عاد بالسلب على الدولة وذلك لاستخدام عائدات التجارة التي كانوا يحتكرونها لصالحهم في عقد اتفاقيات مع العدو اللدود للدولة الزيانية وهم الإسبان[3] .

وما يبرز هيمنة اليهود على التجارة وسيطرتهم المحكمة عليها هو تحديد ثمن الضريبة من طرف الجالية اليهود الذي كان في أمر سابق من صلاحيات السلطان وحاشية الدولة وهذا يوضح جليا تدخل اليهود في الشؤون الداخلية للدولة الزيانية[4].

[1]–مختار حساني، المرجع السابق،ج2، ص 165.

[2]- ابو العباس أحمد بن يحي الونشريسي، **المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب** ،تح: مُحَمَّد حجي، المغرب، وزارة والشؤون الإسلامية، 1981، ط1، ج 2 ، ص 399

[3]– مختار حساني، المرجع سابق ،ج2، ص 159.

[4]– نفسه، ص 159.

## المبحث الثاني: دور النصارى في الجانب السياسي :

### أولا: دور النصارى على الصعيد السياسي:

شهد العصر الوسيط توسعا بحريا وإقتصاديا لدول أوروبا، حيث لم يكن يفصل بين الدولة الزيانية والبلدان المسيحية إلا البحر فامتدت هذه التوسعات منذ بدايتها نحو المغرب مما ساعد على إنشاء اتصالات بين الأسرة الزيانية والبلدان المسيحية، ورغم التواصل بين الطرفين إلا أن عدد الرعايا الزيانيين في البلدان المسيحية لم يكن بالعدد الكبير، ولعددهم القليل لم يجد لهم قنصلا يمثلهم في

الخارج [1] حتى أن المصادر لم تشر إلى وجود فندق أو قنصلية إسلامية في المدن الغربية، أما عن التجار المغاربة فلم تكن مبادراتهم سوى مبادرات فردية مثل التي قام بها التاجر الزياني سنة 1250م حين اشترى كمية من الفضة، والسبب في ذلك أن الدولة الزيانية لم تكن تشجع التجار للإقامة في البلدان المسيحية بحكم أن فقهاء الدولة رفضوا إقامة المسلمين في دار الكفر وأرجعوا ذلك لعدة أسباب حيث يقول أحد المؤرخين "إن المسلمين لا يستطيعون التوجه لبلاد الكفار مهما كانت حاجياتهم الاقتصادية، وإذا ذهبوا اليها فإنهم يحصلون على أموال يدفعونها إليهم فيستعملونها في الحرب ضدهم "

وحقيقة عدم وجود المسلمين في مدن الغرب ليس سببه ضعف سفنهم بل للوازع الديني الذي منعهم من ذلك [2].

والشيء الملاحظ من خلال ما سبق أن الدولة الزيانية لم تكن ترغب في إقامة علاقات جديدة مع الدول المسيحية بل اكتفت على الصعيد الدبلوماسي بتبادل السفراء وهذا ما توضحه الاتفاقيات والمعاهدات التي عقدت بين الطرفين، ولقد ترك لها شيء من التوضيح المؤرخ دي فورك بقوله " ..

[1]- عبد الحميد الحاجيات وأخرون، **الجزائر في التاريخ**، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 1984،ط1،ج 3، ص 471.

[2]– صالح بن قربة وأخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، الجزائر، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية، 2007، ط1، ص 319.

في ذلك الوقت لم يكن هناك قانون يربط بين المسلمين والمسيحيين فكانت العلاقات العادية بين شعب مسلم وشعب مسيحي هي الحرب فقط فكل المعاهدات المتعلقة بالسلام والتجارة والصداقة المبرمة بين دول مختلفة الديانات تسمى معاهدات هدنة وكان الأمر يتطلب عدة سفارات أولية ثم تليها سفارة فوق العادة مفوضة وفي النهاية كان نص المعاهدة يتم تحريره بلغة البلد الذي يصل إليه السفير، وكان النص يقع في نسختين ويوضع في رسالتين تختم كل واحدة منهما بالشمع الأحمر ويوقع عليها الملك، ويرجع السفير إلى بلاده حاملا الترجمة اللاتينية للمعاهدة المحررة بالعربية، وكانت هذه الترجمة تكتب وبعد ذلك يأتي دور الملك المسيحي الذي كان يصادق على المعاهدة بواسطة توقيعه بخاتمه في نسختين المترجمتين وبعد إبرام المعاهدة، توقع من طرف الجانبين فيعلق عليها بصوت عال في عاصمة الدولة وإذا مات أحد المسؤولين تفسخ المعاهدة تلقائيا ويحتم على الحاكم الجديد تجديدها"[1].

ولقد دارت بين سلاطين بني زيان والأمراء الأوروبيين سلسلة من المراسلات أهمها ما كان بين أبي تاشفين وجاك الثاني حاكم أراغونة بخصوص الأسرى المسيحيين والتي أبانت عن بعض العداء الذي تكنه الدول المسيحية للدولة الزيانية، ولكنها في نفس الوقت تظهر شيئا من رغبة العاهل وحرصه على استمرار العلاقات الودية بين الطرفين، وأهم ما نصت عليه هذه المراسلات هو طلب جاك الثاني بإخلاء سراح الأسرى المسيحيين الذين هم بحوزة أبي تاشفين[2]، إلا أن هذا الأخير رفض طلب العاهل الأرغواني مرجعا سبب رفضه إلى أن كون هؤلاء الأسرى أصبحوا من أبرز العناصر التي دخلت في تركيبة المجتمع الزياني لأن جلهم كانوا من الحرفين والصناع، مع بقاء العلاقات الودية بين الطرفين.

[1]- صالح بن قربة وأخرون، المرجع السابق ، ص313..

[2]- كان مولده سنة 662هـ ، كان فاضلا حميد السيرة رحب الجناب عظيم الخلق بويع يوم الخميس في الثالث والعشرين من جمادى الاولى سنة 718. للمزيد أنظر: أبو زكريا يحي ابن أبي بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن إبن خلدون، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، الجزائر، مطبعة بيرفونطانا الشرقية، 1903، ط1، ج1، ص 122.

والشيء الملاحظ هنا أن عمليات تسريح الأسرى وإطلاق سراحهم كان تتم عن طريق التفاوض أو الفدية أو تبادل بين الطرفين، وتشير بعض الوثائق التي تم العثور عليها بأن أسير قطلونيا أفتدي في تلمسان

726هـ/ 1336م بمبلغ يتراوح بين 400 و500 دينار، ووثائق مثل هذا تدل على أن عملية إطلاق سراح الأسرى عن طريق التفاوض خير دليل على وجود وسطاء يقومون بهذه العملية[1]

ولقد كانت هناك مراسلات أخرى مثل التي بعثها الوزير الزياني هلال رادا فيها على مطالب جاك الأرغواني بتسريح بعض الأسرى، فقبل العاهل الزياني مقابل السلم وكميات من الذهب [2].

ولقد كان بين الطرفين علاقات طيبة وظهر ذلك جليا في ترك كامل الحرية للإمارات الإيطالية من تدبير شؤونهم الكنائسية من طرف السلاطين الزيانيين، كما كانت نفس الحقوق لتجار البندقية بموجب المعاهدات المبرمة بين الطرفين[3]، وكان القنصل بمثابة الواسطة بين الجالية المسيحية والعاهل الزياني فكان الفندقي هو مندوب القنصل، بحيث كان القنصل يقابل السلطان كل شهر أو مقابلة حاكم الإقليم أو المدينة المقيم فيها، ذلك باعتبار الدولة الزيانية لم يكن لها قناصل في المدن المسيحية لأن الدولة لم تكن تشجع على إقامة المسلمين في هذه البلدان، ووجود تجار مسلمين في المدن المسيحية مجرد مبادرات فردية كما سبق ذكره، ولقد تعدد وجود القناصل في الدولة الزيانية حيث وجد لكل دولة قنصل خاص بها يمثلها في المدن الساحلية مثل وهران والمرسى الكبير، ولعب هؤلاء التجار دورًا دبلوماسيا واقتصاديا في آن واحد، كما كان لهم نواب في المدن الداخلية ينوبونهم في المسائل التجارية[4].

---

[1]- عبد العزيز الفيلالي، **تلمسان**...، ج1، ص 191.

[2]- إدريس بن مصطفي، **العلاقات السياسية ولاقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية في العهد الدولة الزيانية**، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ، أبي بكر بلقايد، تلمسان، إشراف: مبخوت بودواية، 2007، ص 116.

[3]- مصطفي بن إدريس، المرجع السابق ، ص 117.

[4]- عبد العزيز الفيلالي، **تلمسان** ....، ج 1، ص ص 138- 139.

ولقد ظهرت في أوروبا المتوسطية مؤسسة معروفة بالفكاك Alfaquaequ متكونة من رجال الكنيسة ومن التجار، كان هدفهم افتكاك أسرى من أيدي المسلمين ببلاد المغرب، وفي هذا الصدد تتحدث إحدى العقود عن افتكاك تاجرين جنويين لأسير إسباني سنة 1287م[1]، وفي سنة 1313م أفتك Guilliem و Claudio de sunroman أسر 236 مسيحيا كما ظهرت عدة جمعيات متخصصة في افتداء الأسر المسيحيين و مثال ذلك: جمعية عذراء الرحمة، وجمعية سان جاك، وجمعية الثالوث المقدس[2] .

كانت الدولة الزيانية توظف فرقا عسكرية مسيحية في صفوف جيشها[3]، تتكون من النصارى والمرتزقة المسيحيين وهذا لم يكن عملا منفصلا بل كان يحمل في طياته بعداً سياسيا ودينيا[4]، إذ نجد البابا نكولا الرابع يحذر المسيحيين من اعتناق الإسلام ويحثهم على التمسك بالدين المسيحي، إذ يرى فيها خدمة جلية يقوم بها النصارى المسيحيين في دار الإسلام، بعد تفشي ظاهرة اعتناق الإسلام بين صفوف المرتزقة المسيحيين[5]، ولقد كانت عملية ارتزاق تلك المليشيات تتم بصفة شبه قانونية باتفاق كلا الطرفين، حيث كان ملوك أراغون هم الدين يعينون قيادات المليشيات ويعزلونهم وهذا دليل واضح في تدخلهم في أمور الدولة الداخلية، وفي أكثر الأجهزة حساسية وهو الجيش.

وكانت الدولة الزيانية طيلة فترات حكمها منذ مؤسسها الأول يغمراسن حتى احتلال الإسبان موانئها تعتمد على المرتزقة الذين كانوا ضمن قواتها، وهذا ما أورده صاحب العبر عن كائنة النصارى وتمكن يغمراسن الإيقاع بهم وفي هذا يقول " كان يغمراسن بن زيان بعد مهلك السعيد وانقضاض عساكر الموحدين قد استخدم طائفة جند النصارى الذين كانوا في جملته مستكثرا بهم، معتدا

[1]- مصطفي نشاط، **جوانب من التاريخ الديمغرافي لليهود و النصارى بالمغرب في العصر المريني**، مجلة الكنانيش، المغرب، العدد1، 1999، ص 73.

[2]-نفسه، ص 74.

[3]- عبد العزيز الفيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر**.. ، ص 64.

[4]- مصطفي بن إدريس، المرجع السابق ، ص 120.

[5]-عبد العزيز الفيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر**.. ، ص ص 64-65.

بمكانهم، مباهيا بهم في المواقف والمشاهد وناولهم طرفا من حبل عنايته، فاغتروا به واستفحل أمرهم بتلمسان حتى إذا كانت سنة 652هـ، بعد مرجعه من بلاد توجين في إحدى حركاته إليها، كانت قصة غدرهم الشنعاء التي أحسن الله في دفاعها عن المسلمين، وذلك أنه ركب في بعض أيامه لاعتراض الجنود بباب القرمادين من أبواب تلمسان وبينما هو واقف عند موكبه في قائلة الضحى عدا عليهم قائدهم، وبادر النصارى مُحَمَّد بن زيان أخا يغمراسن فقتلوه، وأشار له بالنجوى فبرز من الصف لأسراره، وأمكنه من وأدنه، فتنكبه النصراني وخالطه روعة أحس منها يغمراسن بمكره فإنحاص منه، وركض النصراني أمامه يطلب النجاة، وتبين الغدر وثارت بهم الدهماء، من الحامية والرعايا فأحيط بهم من كل جانب وتناولتهم أيدي الهلال بكل مهلك قعصا بالرماح وهبرا بالسيوف وشدخا بالعصى والحجارة حتى استلحموا وكان يوما مشهودا ولم يستخدم من بعدها جندي النصارى بتلمسان حذرا من غائلتهم ويقال إن مُحَمَّد بن زيان هو الذي داخل القائد بالفتك بأخيه يغمراسن وإنه إنما قتله عندما لم يتم لهم الأمر تبرؤا من مداخلته فلم يمهله غاشي الهيعة للتثبيت في شأنها والله أعلم "[1]

إن العملية الانقلابية أو محاولة الاغتيال الفاشلة التي قامت بها المليشيات المسيحية ضد يغمراسن ابن زيان الذي كان معتمدا وبدرجة لا يستهان بها بجند الروم إذ لا يمكن أن ننظر إليها كحدث مستقل بذاته، بل إن القشتالين رأوا فيما يقوم به من محاولة لبناء صرح دولة وقوة بربرية بالمغرب الأوسط على أنقاض الدولة الموحدية إحياء لها أو لدولة قد تحمل لواءها الديني[2] .

ولقد كان سلاطين بني زيان يعتمدون في مراسلاتهم الرسمية على أناس ذوي مكانة وشهرة في مجال السلم السياسي في الإمارة أمثال علي الكانية أو الكانة، الذي كان ضمن حاشية السلطان، واشتغل كحاجب وبعث ديبلوماسية إلى أرغونة في 1357-1358م/759-760هـ، أي في عهد

[1]- عبدالرحمن بن خلدون، المصدر السابق ، ج7،ص 113.

[2]- مصطفي بن إدريس، المرجع السابق ، ص 120.

السلطان أبي حمو موسى الثاني بن يوسف، ابن الملك جاك الثاني هجين جاك الأرغواني قام بدور الوسيط الدبلوماسي بين سلطان تلمسان والملك الأرغواني [1].

كما نجد العاهل الزياني مُحَمَّد السابع يكلف نفسه عناء السفر إلى إسبانيا في محاولة منه لكسب رضى الملك الإسباني فرديناند الخامس محملا بهدايا ثمينة، منها خيول ولآليء نادرة، وطيور مصنوعة من الذهب الخالص، فيها من الدواجن دجاجة متبوعة بستة وثلاثين نقفا، بعد غضب هذا الأخير من مُحَمَّد السابع على إثر استقباله لجاليات مسلمة بعد سقوط غرناطة أخر معاقل المسلمين[2]،

وفي سنة 21 مارس 664هـ/ 1265م ارسل جقمة الأول الفارس Perede de Vilargut سفيرا أو قائد في تلمسان لمدة ثلاث سنوات يقوم خلالها بمهام عسكرية تتمثل في الإشراف على الجند المسيحيين الذين كانوا في خدمة الدولة الزيانية، وأخرى تتمثل في رعاية التجار بعاصمتها وقبل نهاية مدته أي نفس السنة 666هـ/1267م عين الفارس القطلاني Guillen galcerna للقيام بنفس المهام وأعيد تعينه سنة 671هـ/1272م[3] .

وبعد ثلاثة أشهر من تنصيب بطرس الثالث الذي خلف أباه جقمة الأول سنة 675هـ/ 1276م كلف السفير Bernard Parter بالسفر إلى تلمسان لعقد معاهدة مع الأمير يغمراسن، ورغم أن المصادر لم تسجل نتائج مهمة إلا أن تطور الأحداث يدل على أنه تم بينهما عقد معاهدة شاملة عسكرية واقتصادية[4]

ولما قدم الشعب التلمساني بإزالة أبي حمو الثالث من حكم تلمسان توجه هذا الأخير من وهران إلى إسبانيا قاصدا الإمبراطور شارل كارلوس متضرعا إليه أن يعيده على حكم المملكة

[1]– مطصفي ادريس، المرجع السابق، ص 117.

[2]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ج 2، ص 201.

[3]- بشاري لطيفة، **التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية ق10–16م** ،مذكرة ماجيستير، معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،إشراف: موسى لقبال، 1986– 1987، ص ص 176–177

[4]- نفسه، ص 177.

التلمسانية فأبدى ملك إسبانيا شفقته على السلطان المخلوع فأرسل معه جيشا كبيراً استطاع بفضله أبو حمو الثالث أن يتربع على عرش تلمسان من جديد بعد أن فرض عليه شارل كارلوس توقيع معاهدة يقدم بموجبها السلطان إتاوات لعرش إسبانيا[1].

إن الفوضى السياسية التي اجتاحت المغرب الأوسط في العهد الزياني، والاضطرابات التي عرفتها المنطقة، مكنت الدول الأوروبية من الاستفادة من الحالة التي يتخبط فيها المغرب والتفكك الذي عاشه، مما زاد في الأطماع والطموحات الإسبانية، وعزم الإقطاعين في التوسع على حساب جغرافية المغرب الأوسط، واحتلال المرسى الكبير في 1505م خير دليل على رغبة الدول المسيحية في محو آثار وصرح الدول الإسلامية التي ذاع صيتها خلال فترات من الزمن[2].

**ثانيا: الدور العسكري لنصارى:**

إن استخدام الجنود المسيحين كمرتزقة في صفوف جيش المسلمين لم يكن أمرا جديدا ببلاد المغرب، بل نجد هذه العناصر منذ العصر المرابطي في أوائل القرن السادس هجري خلال عهد علي بن يوسف الذي اتخذهم حرسا له، و بذلك يكون هو أول من استخدم المسيحيين كفرقة عسكرية في جيشه [3] كما أن الجيش الموحدي لم يخل هو الأخر من المرتزقة المسيحيين الذين خاضوا معهم الكثير من المعارك، وعلى إثر انهزامهم أمام الزيانيين انتقل هؤلاء إلى خدمة بني زيان خلفاء الموحدين على المغرب في سنة 646هـ/1248م[4]. ويقصد بأولئك المرتزقة العناصر الأوروبية النصرانية المكونة من القطانيين والأراغونيين[5]، وهم عبيد قدموا من البلاد الأوروبية بفضل المبادلات التجارية بين بني زيان

[1]- حسن الوزان ، المصدر السابق، ج 2، ص 9.

[2]- أندري برنيان وأخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر** ، تر: اسطنبولي رابح ، منصف عاشور،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 2007، ط1، ص 119.

[3]- برانشفيك، المرجع السابق ، ج 1/ص 470.

[4]- نفسه، ص 470.

[5]- خالد بلعربي، **ورقات زيانية دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني**، الجزائر، دار هومة للنشر والتوزيع، 2014، ط1، ص 20.

وبلدانهم[1]، واتخذهم ملوك المغرب ضمن التشكلات العسكرية لما تميزوا به من الخبرات العسكرية العالية في مختلف الفنون[2]، فتقربوا من السلاطين وصاروا حُمادة لهم ولعائلاتهم[3].

وبتاريخ 665هـ/1266م كانت الدولة الزيانية تضم في فرقها العسكرية مسيحيين من القطانين والأراغونيين تحت قيادة الأب ديقيلاجو[4]، ليتولى القيادة بعده قيوم غالسيران دي كارتيلا[5].

وفي سنة 670هـ/1271م ضم الجيش الزياني في عهد يغمراسن جنود من المرتزقة المسيحين في صفوفه بلغ عددهم خمسمائة فارس، يقاتلون إلى جانبه ضد بني مرين[6]، وكان يرأس الفرقة العسكرية القائد جوم بيريز jaumme perez [7].

أما الفرقة الميورقية فكانت تحت قيادة بعض أرباب السيف من النصارى، أمثال إبن الملك جاك الثاني هجين جاك الأراغوني، والذي صار بمثابة الوسيط الدبلوماسي بين تلمسان والملك الأراغوني ما بين سنتي 725هـ/1324م [8].

وبخصوص الفرق الأراغوانية الكتلونية التي كانت تخدم سلاطين بني زيان كان يرأسها الفارس روديقو سانتشيز دي فيرغايس[9] Rodrigo songhes de vergays .

---

[1]- فتيحة دحماني، جملة شراير، **الجيش في العهد الزياني( 633-962هـ/ 1235-1554م)**، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المدية، إشراف: نسيم نوار، 2014-2015 م، ص 37.

[2]- نفسه، ص37.

[3]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص 50.

[4]-عبد العزيز فيلالي، **دراسات في تاريخ الجزائر** .....، ص64.

[5]- سميرة نميش، **دور أهل**.....، ص 90

[6]- ابن ابي زرع، **الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تح: مُحَّد ابي شنب، الجزائر، مطبعة جول كربونل، 1920،ط1، ص 149.

[7]-خالد بلعربي، **ورقات زيانية**.....، ص 20.

[8]- برانشفيك، المرجع السابق ،ج1، ص 472.

[9]- نفسه، ص 476.

ولقد استمر تواجد الفرق المسيحية في جيوش الدولة الزيانية في ظل ذلك الحصار الطويل الذي تعرضت له عاصمة الزيانيين من قبل المرنيين ففي عهد أبي حمو موسى الأول كان قائد المرتزقة المسيحيين الفارس فيليب دي مورا[1]، ونجد أن أبا حمو موسي الثاني استخدم المسيحيين في جيشه، و صنفهم ضمن مماليك خاصة بحراسته وفي هذا يقول يحي ابن خلدون في كتابه البغيه " فاستركب الحرم وحمل الأموال وأكفل بذلك الخصيان والنصارى المستخدمين "[2] .

ونجد أن العاهل الأرغواني رحب بالتعاون العسكري بين أراغوان وتلمسان عن طريق وجود فرق عسكرية من المرتزقة المسيحيين في الجيش الزياني، لأنه كان يأخذ ضرائب غير مباشرة عن رواتبهم يقسمها العاهل التلمساني [3].

والظاهر أن الجند المسيحيين، كانوا يسكنون في حي منفصل خاص بهم بعيد عن المسلمين يعرف بربض النصارى، وكانوا مرفقين بزوجاتهم واولادهم، وكانت نساؤهم يحضرن الحفلات العائلية التي ينظمها العاهل الزياني في المشور رفقة أزواجهن، وكن يرتدين فيه الزي الإسلامي، بحكم إقامتهن الطويلة في تلمسان، متأثرين بالعادات المحلية وخاصة اللباس، ربما كون ذلك بتوجيهات البلاط الزياني[4]

الزياني[4]

ولقد كان النصارى الجند يتمتعون بحرية أداء شعائرهم الدينية في كنائسهم، ويديرون شؤونهم بأنفسهم معفين من الضرائب والرسوم الجمركية ( طبقة العسكرية) ويخضعون ضباطهم وقوادهم وقضائهم، وكان منهم من يملك بعض الاملاك العقارة وغيرها، وكانت لهم كنائسهم ومقابرهم الخاصة بهم[5]

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في** ..... ، ج 1، ص ص188-189.

[2]- سميرة نميش، **دورأهل**... ، ص 92.

[3]- خالد بلعربي، **ورقات زيانية**..... ، ص 20.

[4]- عبد العزيز الفيلالي، **الأقلية المسيحية في المغرب الأوسط (الجزائر) نموذج لحياة السلم والتسامح ، الملتقى الدولي حول ممارسة الشعائر الدينية حتى يكفله الدين والقانون**، الجزائر، دار الإمام، يومي 10-2010/02/11، ص 11.

[5]- نفسه، ص 11.

ولقد لعبت البابوية دورا هاما على الجند المسيحي حيث عملت على توعيته وحثه على التحلي بالسلوك القويم والتمسك بديانتهم المسيحية وعدم اعتناق الإسلام، وكان من بين من قاموا بهذا العمل البابا نيكولا الرابع ويعتبر ما أقدم عليه البابا في حد ذاته تنبيها للمسيحيين العاملين كمرتزقة في الفرق الحربية لصالح الجيش الإسلامي من جهة، واعترافا بهده الخدمة من البابا نفسه من جهة أخرى، لأن السلطة البابوية كانت تأمل أن تجني من هذه الخدمة بعض المزايا لفائدة المسيحية في بلاد المغرب عامة، ومدينة تلمسان على وجه الخصوص [1] .

ولقد استخدم بنو زيان كغيرهم من الدول المتعاقبة سواء في بلاد المغرب أو بلاد المشرق أو الأندلس ضمن جهازهم السياسي عنصر الأعلاج أو ما يعرف بالصقالبة[2] وهم عبارة عن خدم من جنسيات أوروبية مختلفة يتم إحضارهم عن طريق الشراء أو الهدايا أو بواسطة الغزوات للشواطئ الاوروبية، أما بلدانهم فغالبا ما كانوا يجلبون من ألمانيا وإيطاليا وصقلية وقطلونية، إلا أن تنشئتهم تكون وفق ما نص عليه الدين الإسلامي، وجل ما يقومون به هو أعمال القصر لخدمة الحريم وكونت منهم فرقًا خاصة لحراسة السلطان وهذا يكون بعد التدريب ولقد لقي هؤلاء مكانة هامة وسط المجتمع الزياني حيث أصبح منهم القادة والضباط في الجيش[3] وتقلدوا القيادة وخطط الوزارة والحجابة، واشتهر منهم في البلاط الزياني هلال القطلاني الذي سباه المسلمون من نصارى قطلونية وجلبوه إلى غرناطة حيث أهداه السلطان الغرناطي مُحَمَّد الثاني (671-701هـ/1273-1302م) إلى السلطان الزياني عثمان بن يغمراسن (681-703هـ/1283-1303م) ثم صار هلال القطلاني بعد ذلك إلى أبي حمو موسى (707-718هـ/1307-1318م)[4]، كما برزت مجموعة من الأعلاج كان لها مركزها السياسي في المجتمع الزياني بحيث شكلوا فريقا مما من القادة والضباط في الجيش الزياني مثل:

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان في** ....، ج1، ص 189.

[2]- **كلمة صقلب csclave** فرنسية قديمة، ومعناها عبد أو رقيق وهي التسمية التي أطلقها الجغرافيون العرب العصور على الشعوب العامة ...للمزيد أنظر: أحمد مختار العبادي، **قيام دولة المماليك الاولى في مصر والشام** ، لبنان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1986،ط1،ص35.

[3]- خالد بلعربي، **ورقات زيانية**..... ، ص 19.

[4]-عبد العزيز فيلالي، **تلمسان** ..... ،ج1، ص184.

القائد مسامح، وفرج بن عبد الله، وظافر مهدي وعلى بن تاكرارت، وفرج الملقب بشقورة، وغيرهم من الأعلاج الذين صاروا عنصرا من عناصر المجتمع التلمساني في العهد الزياني[1].

عاش الذميون سواء اليهود أو النصارى عيشة طيبة في كنف المجتمع الزياني فبمخالطتهم ومجالستهم سلاطين الدولة مكنهم من اعتلاء مناصب في الجهاز الحكومي لبني زيان فكان منهم الحجاب والسفراء وقناصل وبهذا يكون قد أدوا أدوارا مهمة في ربط العلاقات بين الدولة الزيانية الإسلامية والدول الاوروبية المسيحية خاصة فيما تعلق بأمور فك الأسرى وغيرها.

[1]- عبد العزيز فيلالي، **تلمسان**.....،ص 184.

# الفصل الثالث :

## دور أهل الذمة في الحياة الاقتصادية

## وانعكاساتهم في المنطقة

## الفصل الثالث : دور أهل الذمة في الحياة الاقتصادية وانعكاساتهم في المنطقة:

تميزت مدينة تلمسان بموقع جغرافي له أهمية اقتصادية، فانتشرت الزراعة وظهرت صناعات متعددة بها وفي نفس الوقت برزت حركة تجارية مع الأقطار المجاورة[1].

### المبحث الأول :الأوضاع الاقتصادية للدولة الزيانية :

#### أولا: الأوضاع الإقتصادية للدولة الزيانية:

**أ- الزراعة:**

تعتبر تلمسان مدينة فلاحية اذ امتهن معظم سكانها الفلاحة[2]، وتنوعت أراضيها كأراضي الإقطاع وهي عبارة عن أرض ملك للدولة ولا يحق التصرف فيها إلا من قبل السلطان وأول من عمل بنظام الإقطاع في الدولة بنو عبد الواد السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـ/1235-1282م مؤسس الدولة حيث اقتطع مشايخ قبيلة سويد العامرية بلاد البطحاء[3] وسيرات وهوارة، واتبعه في ذلك التقليد بقية سلاطين بني زيان كما استفاد منها شيوخ القبائل والعلماء والفقهاء بسبب ولائهم للدولة الزيانية أمثال أبي اسحاق إبراهيم يخلف التنسي الذي أقطعه يغمراسن أرضا للانتفاع بها بعد قدومه من تنس وانتقلت إلى أولاده بعد وفاته[4].

---

1- بسام كامل عبدالرزاق شقدان، **تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م**،مذكرة ماجيستير ،جامعة النجاح الوطنية ،فلسطين ،اشراف :هشام أبورميله ،2002،ص182.

2- مُحَمَّد الطمار، **تلمسان عبر العصور** ، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،2007، ط1، ص98.

3- **البطحاء:** مدينة متحضرة وأهلة بالسكان بناها الافارقة في عصر قريب، لكنها خربت أثناء الحروب التي إستعرت بين ملوك تلمسان وبعض أقاربهم من سكان جبل ونشريس للمزيد أنظر: حسن الوزان، ج2، 27.

4- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، الجزائر، دار الألمعية، 2011، ط1، ص 226.

وأراضي الظهير ويطلق عليها "المرية الجبائية والعقارية " حيث ترخص الدولة للمنتفعين استخلاص الضرائب الموظفة على السكان المستقرين لفائدتهم، ويعد منح أراضي الظهير منفعة لا إقطاع رقبة يحق الانتفاع بها وبثمارها دون تملكها وإذا أقطعت لشخص ما وتوفي أقطعت لغيره ولا تورث عنه[1].

وأراضي الأوقاف وهي الأراضي التي يتنازل عليها أصحابها المسلمون لأغراض دينية [2].

إضافة إلى أراضي الموات وهي أراضي البور التي يقتطعها السلطان لمن يحييها ويزرعها لعامة المسلمين فتصبح ملكا له ولا يجوز بيعها [3].

تزخر الدولة الزيانية بإمكانيات جعلت منها إقليما فلاحيا فقد وصفها الإدريسي بقوله: ".....وما جاورها من المزارع كلها مسقي وغلاتها ومزارعها كثيرة وفواكهها جمة وخيراتها شاملة .."[4] ، لذا كانت معظم أراضيها خصبة خاصة الواقعة بسهل شلف الذي ذكره ابن سعيد بقوله :" .....نهر الشلف الكبير المشهور ويخرج من هذا الجزء إلى الثاني وينصب عند مستغانم، وهو مثل نهر النيل يزيد أيام نقص الأنهار، وعليه مجالات مغراوة من زناته "[5]، وتعتبر الأراضي التي تندرج ضمن سهل شلف من أجود الأراضي وكان جزء منها مستغلا حتى وقت الجفاف لوفرة المياه بنهر شلف، وكذلك أراضي سهل متيجة كانت هي الأخرى مستغلة[6] .

بالإضافة إلى المناطق الممتدة بين هنين[7] وتلمسان والتي تنتج كميات وافرة من الثمار منها :

---

[1]- فؤاد طواهارة، **المجتمع والإقتصاد في تلمسان خلال العصر الزياني 7-9هـ/ 13-15م**، مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية، الجزائر، العدد 2 ، 2014، ص 75.

[2]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية** .....،ص 225.

[3]- فؤاد طوهارة :المرجع السابق ،ص77.

[4]- الإدريسي، المصدر السابق، ج1، ص248.

[5]- أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الزهري، **الجعرافية** ،تح: مُحَمَّد حاج صاق ، مصر، مكتبة الثقافة الدينية ،د،ت ،ص140.

[6]- حساني مختار، المرجع السابق ، ج2، ص 26.

[7]- **هنين:** مدينة صغيرة بناها الأفارقة، تبعد عن تلمسان بأربعة عشر ميلا، لها ميناء صغير محروس ببرجين للمزيد أنظر: حسن الوزان: ج2، ص 15.

".. الكرز والمشمش والتفاح والإجاص والخوخ وما لا يحصى من التين والزيتون ..."[1].

أنتجت أراضي الدولة الزيانية أكثر مما تحتاجه، حتى أمكنها أن تمد أهل غرناطة ببلاد الأندلس كل سنة بما تحتاجه من قمح وشعير[2].

**ب– الصناعة:**

اشتهرت الدولة الزيانية بالإنتاج الفلاحي إلا أنه نظرا لتوفر بعض المعادن بها سمحت بقيام صناعة، فكانت بعض المعادن تستخرج من منطقة تلمسان كالحديد[3]، ومن بين أهم الصناعات التي نشطت في هذا العهد:

**1- الصناعة النسيجية:**

ازدهرت صناعة النسيج في الدولة الزيانية بفضل وفرة المادة الخام خاصة الصوف التي ضمنتها صناعة الأقمشة والأغطية[4]، إذ يذكر الزهري في كتابه "الجعرافية" :".....مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكللة وغير ذلك ولقد يوجد فيها كساء كامل وزنه تسه أواق ونحوها .."[5] .

كما أثنى يحي ابن خلدون بإتقانهم لهذه الصناعة بقوله :" .....تكسيهم الفلاحة وحوك الصوف يتغايون في عمل أثوابه الرقاق بتلقي الكساء والبرنوس عندهم من ثماني أواقي والأحزام من خمس، بذلك عرفوا في القديم والحادث ومن لدنهم يجلب إلى الأمصار شرقا وغربا ..."[6] ،كما تحدث

[1]– حسن الوزان، المصدر السابق، ج 2، ص16.

[2]– لخضر عبدلي، التاريخ السياسي ....، المرجع السابق، ص189

[3]- مرمول كربخال، المصدر السابق، ج2، ص323.

[4]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**..... ،ص 237.

[5]- الزهري، المصدر السابق ،ص113.

[6]– يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص22.

تحدث الوزان عن بعض المدن التي اشتهرت بهذه الصناعة أمثال مدينة مليانة بقوله :"....سكانها كلهم صناع نساجين أو خراطين..."[1]، إضافة إلى هذا ذكر مارمول كاربخال صناعة النسيج بمدينة هنين بقوله :"...وتصنع فيها أقمشة جميلة وأنسجة أخرى من القطن ..."[2].

وقد كانت حياك الدولة الزيانية وبرانيسها وزرابيها تباع لتجار الدول الإسلامية والأوروبية [3].

## 2- صناعة الجلود :

أجاد سكان تلمسان صناعة الجلود، فصنعوا منها الأحذية والطبول والدفوف[4]،كانت الجلود تسوق خاما ومدبوغة وتمثلت في جلود الغنم والعجول والثيران والبقر والخيول وتم تصديرها إلى مختلف أنحاء أوروبا خاصة إلى ميورقة وقطلونيا، يشتري الأوروبيون الجلود من الزيانيين مدبوغة بالأحمر والأصفر منذ بداية القرن الثالث عشر الميلادي[5]،واختلفت أسعار الجلود بين مدن الدولة واعتبرت جلود الخرفان الأرخص ثمنا[6] .

## 3- صناعة الفخار:

ارتبطت حرفة الفخار بوجود عدد من الأفران المتخصصة بصناعة الفخار والخزف والقرميد، بمدينة تلمسان وضواحيها خاصة بالقرب من باب العقبة[7] ، صنع سكان الدولة الكثير من الأدوات التي يحتاجونها كالكؤوس والأطباق والأباريق [8].

---

[1]- حسن الوزان ، المصدر السابق ،ج2، ص35.

[2]- مارمول كاربخال ، المصدر السابق ، ص296.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق،ج 2، ص92.

[4]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**..... ،ص 238.

[5]- لطيفة البشاري، المرجع السابق، ص ص 150-151.

[6]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ، ص187.

[7]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق ،ص 84.

[8]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**....،ص239.

### 4- صناعة مواد البناء :

تطورت صناعة مواد البناء في عهد يغمراسن مثل الآجر والقرميد اللذين بنيت بهما مساجد الدولة[1]، ومع مجيء الأجانب ازدهرت هذه الصناعة وهذا لوفرة اليد العاملة [2].

### ج- التجارة:

احتلت الدولة الزيانية مكانة قيادية في التجارة وذلك لموقعها الجغرافي حيث كانت تلمسان ملتقى الطرق بين المغرب الأدنى والمغرب الإقصى[3]، الأمر الذي أهل الدولة الزيانية التحكم في طريق القوافل التجارية العابرة للمغرب الإسلامي الذي ينطلق من الأندلس نحو المشرق الإسلامي[4]، وهذا ما ما جعلها محل اهتمام معظم الدول قصدا للتجارة إذ يقول القلقشندي في كتابه صبح الأعشى: " .... ويقصدها تجار الآفاق للتجارة ....."[5].

.ولما كانت التجارة هي المصدر الرئيسي لثروة تلمسان، وأحد ركائز الاقتصاد الزياني[6]، الأمر الذي جعل سلاطين الدولة يهتمون بها إذ تنبه يغمراسن مؤسس الدولة إلى أن هذه التجارة مورد خير كبير على دولته، فأحسن معاملة التجار وشارك هو وبعض أهل بيته في التجارة، فارتفع شأنها نتيجة لذلك[7]، فظهرت شركات تجارية تلمسانية اتخذت من تلمسان مركزاً ولها فروع في مختلف المدن مثل شركة أبناء المقري والتي وصفها لسان الدين بن الخطيب بقوله " فمهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار

---

[1]- خالد بالعربي،**الدولة الزيانية** ،ص240.

[2]-مختار حساني، المرجع السابق ،ج 2،ص96.

[3]- الحميري، المصدر السابق، ص 135.

[4]- مختار حساني، المرجع السابق، ج 2، 135

[5]- القلقشندي، المصدر السابق، ج5، 150

[6]- نقولا زيادة، **إفريقيات**، انجلترا، رياض الريس للنشر والتوزيع، 1991، ط1، ص 169.

[7]- إبن الأحمر، **الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، 2001، ط1، ص 17. ( كلام المحقق)

وتأمين التجار، واتخذوا طبل الرحيل، وراية التقدم عند المسير.."[1] ، وبذلك أصبحت تلمسان شبه محتكرة للتجارة خاصة مع بلدان السودان الغربي[2]، وكما وصف حسن الوزان تعاملات التجار التلمسانيين فقال: " أناس منصفون مخلصون جدا وأمناء في تجارتهم، يحرصون على أن تكون مدينتهم مزودة بالمؤن على أحق وجه أهم أسفارهم التجارية هو الذي يقومون به إلى بلاد السودان، ووافروا الغنى أملاكاً ونقوداً "[3] .

وبحكم الازدهار التجاري الذي عرفته المنطقة ظهرت أسواق في الدولة الزيانية منها الأسبوعية واليومية التي كانت منتشرة في كل مدن الدولة والتي تباع فيها مختلف السلع والبضائع يوميا[4]، أهمها أسواق السلاح الواردة من أوروبا عن طريق ممالك إسبانيا والنصرانية[5].

كما لعبت موانئ الدولة دوراً ريادياً في تدوير عجلة التجارة الخارجية ومن أهم موانئها ميناء تنس الذي كان مقصد تجار الأندلس[6]، وميناء المرسى الكبير الذي كان قبلة السفن الأوروبية المحملة بالبضائع، ضف إلى ذلك ميناء مستغانم[7]

[1]- لسان الدين بن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: مُحَمَّد عبد الله عنان، مصر، مكتبة الخانجي، 1984، ط1، ج2، ص 192.

[2]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، 199

[3]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 21.

[4]-- خالد بلعربي، **الأسواق في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني**، مجلة كان التاريخية، انجلترا، العدد 6 ، 2009، ص 32. 32.

[5]- بن الأحمر، المصدر السابق، ص 16.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78.

[7]- حسن الوزان، المصدر السابق، ص 31-32.

## المبحث الثاني: النشاط الاقتصادي لأهل الذمة ودورهم في المبادلات التجارية :

### أولا: النشاط الاقتصادي لأهل الذمة:

#### أ- النشاط الفلاحي:

تعتبر الزراعة من أهم النشاطات التي مُورست في العصور الوسطى ولقد كان امتلاك الأراضي الزراعية يعد مظهرا من مظاهر الترف .

ولقد مارس اليهود هذا النشاط إلا أن الزراعة لم تلعب دورا كبيرا في حياتهم مثل الصناعة والتجارة، نظرا لكثرة تشتتهم وعدم استقرارهم في مكان معين رغم حرص الثلمود على أن الرجل الذي لا يملك أرضا لا يعتبر إنسانا [1].

وبحكم تواجد اليهود بالمغرب الأوسط زاولوا هذا النشاط فعملوا على كراء الأراضي الزراعية من المسلمين[2]،كما تمكنوا من امتلاك أخرى في تلمسان وقد أورد هذا الونشريسي في إحدى مسائله :"إن المسلم إبتاع جنة من اليهودي وحبسها فقام اليهودي يدعي استحقاقها بحبس" هذا دليل على امتلاكهم للأراضي ونستدل على كلمة جنة التي ذكرها الونشريسي تدل على الأراضي المغروسة [3]، كما أورد عبد الرحمان ابن خلدون إشارة على احتراف اليهود للفلاحة [4]، فزرعوا الكروم لإنتاج الخمور والزيتون ولما كانت الثروة الحيوانية ذات أهمية لاقتصاديات بلاد المغرب فاحترف اليهود مهنة الرعي وتربية الحيوانات، وذلك ليس بغريب، اذ اشتهرت بلاد المغرب بإنتاج الأغنام وذلك لطبيعة سكانها وجغرافيتها[5]، فقاموا بتربية الأغنام و استفادوا من لحومها وألبانها[6]، فعملوا في تصنيع الجبن

[1]-عطا الله شحاتة، المرجع السابق ،ص131.

[2]-عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق ،ص 89.

[3]-الونشريسي، المصدر السابق ،ج7،ص.438

[4]- عبد الرحمان بن خلدون، المصدر السابق، ج6،ص95.

[5]-عبد الرحمان بشير، المرجع السابق، ص91.

[6]- سميرة نميش، **دور أهل**... ، المرجع السابق،ص 55.

الأمر الذي ينم على امتلاك أعداد كبيرة من القطعان الذي يتيح لليهودي إنتاجا اقتصاديا من الجبن[1].

**ب- النشاط الحرفي والصناعي:**

كانت تلمسان موردا هاما للذهب الذي يأتي به تجارها من بلدان السودان الغربي على أشكال مختلفة تبرا وسبائك وقطعا نقدية[2]، ومن أجل اقتناء أكبر قدر ممكن من هذا المعدن كان التجار المسيحيون الأوروبيون يسافرون إلى بلاد المغرب، وبهذا بقيت المدينة تتمتع بالغنى واليسر حتى القرن العاشر الهجري السادس عشر ميلادي[3]، وقد زاول بعض اليهود هذه الصناعة وغالبا ما كان يصدر إلى السودان[4] عن طريق تجار المغرب الأقصى [5]، وعلى كل فإن أغلب صناعة المعادن الثمينة سواء كانت ذهبا أو فضة فهي دوما من اهتمامات اليهود ،إلى جانب سياسة القروض وما يتصل بها من فوائد وربا[6] .

عمل اليهود في البناء خاصة في مدينة سجلماسة[7] حيث يقول في هذا البكري :" والبناؤون عندهم يهود لا يتجاوزهم في هذه الصناعة "[8].

---

[1]- عبد الرحمان بشير : المرجع السابق ،ص91.

[2]- بشاري لطيفة، المرجع السابق ،ص 264.

[3]- عبد العزيز الفيلالي، **تلمسان** ....، المرجع السابق، ج1،ص216.

[4]- **السودان الغربي**: بلاد متسعة الأرجاء، رحبة الجوانب، حدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط الغربي، ومن الجنوب الخراب ممايلي خط الاستواء، ومن الشرق بحر القلزم للمزيد أنظر: القلقشندي، المصدر السابق،ج5، ص273.

[5]- سميرة نميش :**أهل الذمة**..... ، المرجع السابق، ص57.

[6]- عمر سعيدان، المرجع السابق، ص31.

[7]- **سجلماسة**: أسسها قائد روماني ذهب إلى موروطانيا زحف شطر الغرب حتى ماسة، وسماها سجلوميسي لأنها أخر مدن ماسة، ماسة، للمزيد أنظر: حسن الوزان، ج2، ص 127. واليعقوبي، المصدر السابق، ص198. والحموي، المصدر السابق، ج3، ص 192.

[8]-البكري، **المغرب**.....،ص 149.

أما فيما يخص النشاط الصناعي الذي مارسه أهل الذمة من خلال ما أوردته أوراق الجيزة فقد تركت أثرا عن الصنائع التي عمل بها اليهود دون ذكر أو تحديد المنطقة وإذا ذكرت ففي مناسبات قليلة وكان الاعتماد عليها لأن جل الوثائق ترجع عن اليهود الذين تمركزوا في منطقة الشمال الإفريقي أو مناطق البحر الأبيض المتوسط وأهم أوردته هو صناعة اليهود للأقمشة[1]، كما برز اليهود في المجال الطبي الذي برع فيه العديد من الأطباء[2]، قاموا بتحضير العقاقير والأعشاب الطبية، ومن المهن الطبية الطبية التي امتهنها اليهود أيضا خصي العبيد، ومن المرجح أن يقوم اليهود بمزاولة هذه المهنة كإخوانهم [3]خاصة مدينتي ورجلان وزويلة التي كانت مركزا لتجارة الرقيق الأسود[4]، وكان التجار اليهود يشكلون يشكلون مجموعة تجارية ولم يكن اليهود تجارا فقط بل كانوا حرفيين أيضا[5].

كما خاض اليهود في مهنة الجزارة وقد ذكر الونشريسي فتوى في ذلك إذ قال فيها :"عمن بيع طريف لليهود، فأجاب بيع الطريف ليس بحرام عندنا ، والذي أفتى به ضعيف العقل خطأ ولقد ركب من نفسه أمرا عظيما.....لما أنكره استثقالا لكراهيتهم أما حراما فلا"[6]. وإن دل هذا عن أمر فمدلوله امتهان اليهود لهذه المهنة في المغرب الأوسط.

ومن الحرف الأخرى أيضا صناعة الخبز وغسل الثياب وهذا ما أورده الونشريسي في إحدى مسائله ، فقال :" سأل بعضهم عن النصارى هل يمنعون من عمل الخبز وبيعه وبيع الزيت والخل وغيرها من المائعات بالأسواق ، وهل يمنعون من غسل ثياب الناس لما قاله مالك ولا يتوضأ بسؤر النصراني ولا بما أدخل يده فيه "[7]، مما يثبت مزاولة أهل الذمة لمثل هذه الصناعات.

---

[1]-كواتي مسعود، المرجع السابق ،ص127.

[2]-نفسه، ص128.

[3]–عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق ،ص98.

[4]- الحموي، المصدر السابق، ج 2، ص160

[5]- الفيلالي، **تلمسان**....، المرجع السابق، ج1، ص217.

[6]- الونشريسي، المصدر السابق، ج5،ص250.

[7]- نفسه، ص 68.

كما اشتغل اليهود في دباغة الجلود خاصة في تلمسان التي اعتمدت على الجلود المدبوغة في بعض الصناعات الجلدية وخاصة سروج الخيل[1].

**ج- الدور التجاري :**

تعتلي التجارة منصة المهن التي اشتغل بها اليهود، فبحكم الشتات الذي لحق بهم فضلوا مزاولة هذه الحرفة، فتمركزوا في الطرق التجارية الكبرى ،ولأهمية التجارة عندهم كانوا يقومون بتدريب الصبية على العمل بها، حيث يتركون أبناءهم لدى الوكالات التجارية الكبرى ليتعلموا فيها أصول التجارة [2].

ولقد كانت التجارة أهم ما زاوله اليهود في المغرب الأوسط وذلك لاستقرارهم وتواجدهم في البلاد فيقول مسعود كواتي بأنه:" لا توجد تقريبا سلعة من أسواق المغرب الإسلامي في حوض المتوسط لم تمر على أيدي اليهود "[3].

تواجدت الجالية اليهودية في المدن التجارية الكبرى مما سمح لهم المساهمة في الحركة التجارية فشاركوا المسلمين في هذا النشاط في المغرب الأوسط[4]، ويذكر لنا صاحب المسالك والممالك ابن خرذاذبة مثالا حيا على دور اليهود في النشاط التجاري فيقول:" الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلية وإنهم يسافرون من المشرق إلى المغرب برا وبحرا يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديباج وجلود الخزؤ والفراء والسمور"[5].

[1]- عبد الرحمان بشير، المرجع السابق ، ص97.

[2]- نفسه، ص99.

[3]- مسعود كواتي ، المرجع السابق ، ص124.

[4]-عبد الرحمان بشير ، المرجع السابق ، ص101.

[5]- أبو القاسم عبيد الله ابن خردادبه، **المسالك والممالك**، مدينة ليدن، مطبعة بريل ،1889، ط1، ص153.

ولحذقهم بالتجارة وممارستهم لها استقروا في المدن الكبرى والمسالك التجارية، إذ كان لهم دور تجاري كبير في سجلماسة التي استطاعوا أن يسيطروا بها على تجارة الذهب[1].

ويضاف إلى أن اليهود عملوا في تجارة العبيد والمسك والعود والكافور[2]، حيث احتكروا تجارة الرقيق لأرباحها الطائلة لذلك لعبوا دورا بارزا في أسواق الرقيق المحلي في بلاد المغرب[3]

ويعتبر اليهود هم من ابتدعوا ظاهرة خصاء العبيد[4]، ويشير المقري إلى أن عملية الخصي تتم على أيدي اليهود في أماكن أخرى حيث يقول :"وتخصيهم للفرنجة يهود ذمتهم الذين بأرضهم، وفي ثغر المسلمين المتصل بهم، فيحمل خصيانهم من هناك إلى سائر البلاد [5].

وهذا ما يؤكده ابن حوقل أن هذه التجارة كانت سائدة في كل بلدان العالم[6] .

**ثانيا: دور أهل الذمة في المبادلات التجارية:**

ربطت الدولة الزيانية العديد من العلاقات منها العلاقات التجارية حيث كان لها علاقات ومبادلات تجارية سواء مع مدن المغرب الإسلامي أو مع الدول الخارجية، ولقد كان لأهل الذمة دور في المجال وللخوض في هذا المضمون لابد لنا من معرفة الطرق التجارية.

**الطرق التجارية:**

عُرفت الدولة الزيانية بأنها حلقة وصل وملتقى الطرق وذلك لموقعها الذي يتوسط المغرب الإسلامي الأمر الذي أدى إلى تنوع الطرق التجارية منها البرية والبحرية.

---

[1]- مسعود كواتي، المرجع السابق ، ص122.

[2]- ابن خردادبه، المصدر السابق ، ص153.

[3]- عبد الرحمن بشير، المرجع السابق ، ص101.

[4]- مسعود كواتي، المرجع السابق ، ص125.

[5]- خالد يونس عبد العزيز الخالدي، **اليهود في الدولة العربية في الأندلس**، فلسطين، دار الأرقم ،2011، ط1،ص370.

[6]- ابن حوقل، المصدر السابق ،ص106.

## 1- الطرق البرية:

أهم الطرق التجارية البرية المارة من مدينة تلمسان هي :

1-الطريق الذي يربط بين المدن الساحلية مع بعضها البعض من جهة وبين المدن الداخلية من جهة أخرى مثل الطريق بين مكناس بالمغرب الأقصى ثم فاس وتلمسان ثم البطحاء ثم مازونة[1]، ثم الجزائر وبجاية ومنها إلى قسنطينة[2]، ثم عنابة نحو تونس إلى سوسة إلى صفاقس ثم طرابلس ثم الإسكندرية [3].

2- الطريق من تلمسان يمر بغرداية وتوات ينتهي بتنبكتو[4].

3-الطريق من تقرت[5] إلى ورقلة، ينطلق طريق آخر إلى غاو مباشرة وهذا الطريق يتصل شمالا ببضائع الموانئ الجزائرية الهامة[6] .

4-الطريق الذي يبدأ بوهران ويمر بتلمسان وسجلماسة ثم إلى تغازي وإلى ولاته[7]وينتهي بتنبكتو[8].

---

[1]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ،ص 195.

[2]- القلقشندي، المصدر السابق ،ج 5، ص151.

[3]- بسام كمل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ، ص195.

[4]- **تنبكتو**: مدينة قديمة تبعد عن إثني عشر ميلا من أحد فروع النيجر، وأهم ملوكها المنسا سليمان بنيت عام 610للهجرة، ودور تنبكتوا عبارة عن أكواخ مبنية بأوتاد مملوطة بالطين ومسقوفة بالتين للمزيد أنظر: حسن الوزان، ج 2، ص 165.

[5]- **تقرت**: مدينة قديمة بناها النومديين على جبل في شكل نتوء، في سفحها نهر صغير وهي عامرة بالصناع والنبلاء والأغنياء الدين يملكون حدائق النخيل..للمزيد أنظر: حسن الوزان: ج2، ص 135.

[6]- بوداوية مبخوت، **العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان**، مذكرة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، اشراف، عبد الحميد حاجيات، 2005-2006، ص 311.

[7]- **ولاته**: مملكة صغيرة تقع على بعد خمسمائة ميل شمال تنبكتو ،للمزيد أنظر :الوزان :المصدر السابق ،ج2،ص161.

[8]- نقولا زيادة، المرجع السابق ،ص49.

5-الطريق البري الداخلي يخرج من تلمسان فيحاذي سفوح الأطلس الصحراوي الشمالية حتى المسيلة ومنها إلى نقاوس ثم بغاية إلى تبسة وتدخل القوافل وسط وجنوب تونس ولكن هذا الطريق لا يستعمل بكثرة لانعدام الأمن [1].

6-ومن البحر إلى الصحراء في الاتجاه الشمالي الجنوبي ،كانت تمر أربعة أو خمسة طرق أساسية فالطريق التي تربط بجاية وسطيف والطريق التي تربط بين القل وقسنطينة تتحدان مع بعضهما في نقاوس ثم تمتدان إلى بسكرة وتقرت وورقلة ، وكانت الطرق تتجه إلى القيروان [2]وقفصة ثم إلى مدن الجريد ومن قابس أو طرابلس تمتد إلى غدامس وفزان[3].

7-إضافة إلى هذا هناك شبكة طرق برية تربط بين تلمسان والمدن الزيانية الأخرى الساحلية والداخلية مثل طريق مازونة – مستغانم – تلمسان وأسماء بعض هذه الطرق كان معروفا مثل الطريق أخندقان بين تلمسان وندرومة [4].

واجهت تجارة تلمسان البرية خاصة مع بلاد السودان عدة مشاكل منها قلة الماء ووجود حيوانات مفترسة لذا كانت القوافل في فصل الصيف قليلة في حين تكثر في فصل الشتاء[5].

## 2- الطرق البحرية:

وجدت طرق بحرية بين موانئ تلمسان مثل هنين والمرسى الكبير ومدن المغرب الساحلية مثل الجزائر وبجاية وسبته وطنجة [6]، وطرق تجارية بين موانئ المدينة وأوروبا مثل خط جنوة ليحاذي سواحل

---

[1]- بشاري لطيفة، المرجع السابق ،ص 78.

[2]- **القيروان**: أو القروان مدينة أصلية اسسها القائد عقبة بن نافع، تبعد نحو مائة ميل عن تونس، للمزيد أنظر: حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 87. واليعقوبي: المصدر السابق، ص

[3]- روبار برنشفيك، المرجع السابق، ج 2، ص 148.

[4]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ،ص 196.

[5]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 11.

[6]- نفسه، ص 11.

سواحل جنوب أوروبا الغربية إلى مرسيليا ثم برشلونة فلنسية فقطالونيا ومن هناك تتجه إما شرقا إلى جزيرة ميورقة فمباشرة إلى موانئ تلمسان ،وإما جنوبا عن طريق مضيق جبل طارق ثم تحاذي سواحل المغرب الإسلامي الشمالية[1] ، والخط المباشر بين إيطاليا والدولة الزيانية والذي يربط بين البندقية وميناء هنين[2] ، كما كانت السفن تصل إلى سردينيا إلى تنس خلال عشرة أيام ثم تنقل إلى مازونة فمستغانم ثم تلمسان [3].

واجهت التجارة البحرية مشكلة القرصنة داخل البحر الأبيض المتوسط فكانت السفن الزيانية تتعرض للقرصنة والتي كان معظمها من المملكة الأرغونية وبعض الدول المسيحية بسبب موقفها مع مسلمي الأندلس ،إلا أنه سرعان ما عادت العلاقات التجارية ما بين العرش الأرغوني والدولة الزيانية سنة 684هـ/1285م بعد إبرام اتفاقيات تجارية بينهم [4].

**أ- المبادلات التجارية:**

ساهم أهل الذمة وبشكل كبير في جانب المبادلات التجارية حيث كان لهم دور بارز فيها خاصة مع الدول الأجنبية الأوروبية، وذلك بفضل التسامح وحسن المعاملة التي لقيها هؤلاء من قبل سلاطين الدولة كما ساعدهم على ذلك الموقع الجغرافي الذي سهل عليهم عملية التنقل بين مدن الدولة والدول المقابلة لها وراء البحر.

[1]- بشاري لطيفة، المرجع السابق ،ص 107.

[2]- حسن الوزان، المصدر السابق ،ص15.

[3]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ،ص 197.

[4] -خالد بلعربي، **تلمسان من الفتح** .....، ص ص265-266.

## 1- دور اليهود:

### 1 -1 التجارة الداخلية :

اهتم سلاطين الدولة الزيانية بالتجارة وبذلوا مجهودات كبيرة لترقيتها ،فعملوا على ترويج منتوجات البلاد في الداخل والخارج وقاموا بتنظيم أسواق خاصة ، ونظرا للموقع الجغرافي الذي شغلته تلمسان والذي جعلها ملتقى طرق البرية والبحرية [1].

وقد ظهرت التجارة داخل الدولة نفسها وبين تلمسان ومدنها حيث يتم إرسال مختلف المنتجات الزراعية ومعظم أعمال القرى من صوف وزرابي إلى تلمسان ليتم تبادلها مع بعض منتجات تلمسان[2]، وقد تميز نشاط اليهود الداخلي بتجارة الأموال وتجارة التجزئة، خاصة أنهم كانوا يكسبون قوتهم من نشاطهم التجاري عن طريق الحرف التي يمارسونها[3]، والتي تلخص معظمها في صناعة المعادن الثمينة سواء كانت ذهبا أم فضة والتي كانت دوما مصدر اهتمام اليهود لذا عملوا للسيطرة على هذا المجال وبهذا نشطت تجارة الذهب ومقايضته بتلمسان ومعها الجالية اليهودية التي وجدت مكانا مهما لها[4].

كما برز أيضا اليهود القادمون من الأندلس الذين تميزوا عن غيرهم بمهارات فنية وتقنية زادت من ثراء المدن الكبرى ، الأمر الذي دفع بسلاطين الدولة الزيانية إلى إصدار قرار بتخفيض الجزية المفروضة عليهم إلى النصف ،وإعفاء كبار التجار من الرسوم الجمركية [5]

---

[1]- لخضر عبدلي، **التاريخ السياسي**.....، المرجع السابق، ص192.

[2]- بسام كامل عبيد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 203.

[3]- روبار برنشفيك، المرجع السابق،ج2، ص433.

[4]- عمر سعيدان، المرجع السابق ، ص 31.

[5]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص65.

## 2-1 التجارة الخارجية :

- **التجارة بين تلمسان والأندلس:**

كانت العلاقات بين الدولة الزيانية والأندلس متميزة خاصة التجارية منها التي كانت تتم عبر بعض المراسي الهامة كالمرية ومالقة بالأندلس وهنين ووهران بالمغرب الأوسط[1]، أما السلع المتبادلة بين البلدين فأغلبها المنسوجات الحريرية والمصنوعات الفخارية والمنتوجات الزراعية وبعض أنواع العطور، أما الأندلسيين فأخذوا من تلمسان القمح[2]، ولقد عمل الكثير من اليهود الذين تركوا الأندلس في التجارة وكان من أهم السلع التي نقلوها إلى الشمال الإفريقي التوابل والشمع الفاسي الجيد والعشب الطبي[3].

ولقد كان ليهود الأندلس تجارة واسعة مع يهود شمال إفريقيا وتقدم الرسائل التي عثر على عدد منها في جنيزة على معلومات مهمة عن تجار يهود الأندلس مع تلك البلدان[4]، ومنها الرسالة التي أرسل بها التاجر اليهودي إلى شريكه في المغرب يشكو فيها عدم توفر شخص موثوق فيه يرسل معه البضائع إلى المغرب حيث يقول: " قلبي يحترق لأنني جمعت الذهب، ولم أعثر على أي شخص يمكنني أن أرسله معه لذا يجب أن أرسله مع ديفيد وهذا لا يروق لي أبداً"[5].

- **التجارة مع فرنسا:**

أصبحت الحركة التجارية بين تلمسان ومرسيليا منتظمة، منذ أن عقدت تلمسان معاهدة تعاون مع جنوة سنة 533هـ/1138م لتساعدها على عقد معاهدة تعاون

---

[1]- عبد القادر حسون، **العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس خلال العهد الزياني 1235-1554**، مذكرة ماجستير، تاريخ الإسلامي، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، إشراف، لخضر بوعبدلي، 2007-2008، ص 97.

[4]- خالد بلعربي، الدولة ...المرجع السابق، ص258.

[3]- خالد يونس، المرجع السابق، ص 363.

[4]- نفسه، ص 362.

[5]- نفسه، ص ص 364-365

مع الموحدين ، وبهذا ظهر تجار مرسيليا أول مرة في المغرب الأوسط في ظل حماية جمهورية جنوة[1].

وأهم المواد التي كانت تصدرها الدولة الزيانية هي القرنقل، القطن، الزعفران[2]، أما السلع الفرنسية المتداولة في موانئ الدولة الزيانية فهي المنسوجات الحريرية والأغطية[3]، ولقد تراجع دور اليهود في التبادل التجاري بين المنطقتين بسبب المنافسة الحارة التي كانت بين التجار اليهود، والتجار المسيحيين الذين احتكروا السفن التجارية ولم يسمحوا إلا لأربعة من اليهود ركوبها[4].

- **التجارة مع أرغونة:**

استهدف الأرغواينون السيطرة على طرق التجارة البحرية التي تصل سواحل الدولة الزيانية وسواحل أرغونة خاصة في عهد جاقمه الفاتح 1276/1213م خاصة بعد ضمه جزر البليار، كما قاموا بعدة هجمات على وهران إلا أنه سرعان ما غير سياسته مع الدولة الزيانية[5]، وقد تحسنت العلاقات التجارية بين الدولة العبد الوادية ومملكة أرغونة عبر إبرام معاهدة سنة 635هـ/1237م بين السلطان يغمراسن بن زيان وملك أرغونة بيير الثالث وشملت المعاهدة عدة بنود تمس النشاط التجاري والميدان المالي[6].

وقد بلغت العلاقة معها إلى درجة إقراض السلطان عبدالرحمان أبي تاشفين الأول أموالا لجاك الثاني ملك أرغون[7]، واُتخذ ملوك أرغون اليهود سفراء لدى سلاطين تلمسان فألفونس الثالث وجاقموا وجاقموا الثاني ملكا أرغون استعملا اليهود أبراهم وساموال بن علال ، وبندافي، وساموال أعوانا

[1]- لطيفة بشاري، المرجع السابق ،ص166.

[2]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص 66.

[3]- خالد بلعربي، المرجع السابق، ص 259.

[4]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص 66.

[5]- لطيفة بشاري، المرجع السابق ،ص174.

[6]- خالد بلعربي، الدولة....المرجع السابق ،ص260

[7]- بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ،ص200.

مفاوضين بالمغرب وتلمسان، وكان اليهود بحكم صلتهم بالمسلمين يجيدون دورهم ويحسنون نصح الملوك المسحيين وخدمتهم تجارة أو سياسة وأحيانا محاسبين وقادة عسكريين[1].

وابتداء من سنة 673هـ/ 1272م تعدى التبادل التجاري بين عبد الواد وأرغونة من تبادل السلع إلى تجارة العبيد الذين يباعون في الأسواق الزيانية[2]، ولقد برز دور اليهود في التبادل التجاري من خلال الوساطة بين التجار المسلمين و الأوروبيين والأرغوانيين[3] .

## 2- دور النصارى:

تميز المغرب الأوسط بموقع استراتيجي وكذا عاصمة دولته الأمر الذي جعل منه معبر الطرق التجارية سواء التي تربط المغرب الأقصى والمغرب الأدنى، أو البحر الأبيض المتوسط والصحراء لما توفرت عليه المنطقة من موانئ

ولقد نشطت الحركة التجارية في المغرب الأوسط حتى بعد سقوط الموحدين واستمرت الدول التي قامت على أنقاضها على نفس الوتيرة من الناحية التجارية وذلك عن طريق عقد معاهدات واتفاقيات مع الدول المسيحية، والملاحظ هنا أن أغلب العلاقات السياسية التي وجدت بين دول المغرب والجمهوريات الأوروبية الجنوبية غلب عليها طابع توتر وذلك راجع لعمليات القرصنة وكذا الحروب الصليبية، لكن المصالح التجارية أخذت منحنا آخر خاصة بعد حملة لويس التاسع سنة 1270م على إفريقية حيث عمل هذا الأخير على عقد اتفاقيات ومعاهدات ذات طابع سلمي تجاري[4].

---

[1]- عمر سعيدان، المرجع السابق ،ص 27.

[2]- خالد بلعربي، **الدولة الزيانية**.... .... ،ص261.

[3]- Dhina Atallah, Les etats de l occdent muslman aux XIII ,Xiver, XU,sieches O.P.V Alger,D,P 336.

[4]- لطيفة البشاري، المرجع السابق، ص 148.

ولقد كان للنصارى دور بارز في هذا الجانب محافظين بذلك على جنسياتهم وكذا حياتهم الدينية، وذلك لما خوله لهم الدين الإسلامي، فنشطت حركة الاستيراد والتصدير[1]، عن طريق جلب كميات مختلفة من السلع التي يبيعونها في أسواق المغرب الأوسط، كوهران وهنين وتلمسان التي كان بها مراكز القيصرية والذي كان في ذلك الوقت بمثابة مركز تجمع السلع وابرام الصفقات بين المسلمين والمسيحين[2]، وقد نشطت الحركة التجارية أولا بين مملكة تلمسان والجمهوريات الايطالية عكس القطلانين والأرغوانيين الذين لم يسيطروا عليها إلا في وقت متأخر[3]، وهذا ما أكد عليه حسن الوزان عن مدينة هنين فيقول: " ويأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان، ولقد كان الوزان مع أحد كتاب ملك تلمسان جاء لاستلام ضرائب من سفينة جنوية حملت من البضائع ما يمون تلمسان لمدة خمس سنوات ولقد بلغت قيمة الرسوم التي قبضها الملك خمسة عشر ألف مثقال ذهبا مسكوكا أراه إياه الكاتب[4].

ولقد حرص تجار الدول المسيحية خاصة قشتالة والأرغون والبندقية في الحصول على الذهب فأبرمت لأجل ذلك معاهدات واتفاقيات بين الطرفين منها:

معاهدة تلمسان مع مملكة أرغون سنة 684هـ / 1286م.

معاهدة تلمسان مع ميروقة 761هـ/ 1339م[5]

معاهدة تلمسان مع أرغون 762هـ / 1362م[6]

[1]– لطيفة البشاري، المرجع السابق، ص 212.

[2]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص 73.

[3]- لطيفة البشاري، المرجع السابق، ص 149

[4]- حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص ص 15-16.

[5]- عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 200.

[6]- لطيفة البشاري، المرجع السابق، ص 193.

ولقد برز النصارى في تجارة السلاح في بلاد المسلمين ومنها الرصاص والحديد الذي كان يستعمل في أغلب الأحيان في الحروب الطرفين، الأمر الذي أدى إلى تضارب الآراء حول المتاجرة به[1]، حيث يحدرُ المسلمون التجار من المعاملة مع المسيحين، ومن جهة أخرى حرم البابا على المسيحيين بيع بعض السلع المؤدية للمسيحيين مثل الأسلحة والحديد والخشب والقمح وحبال السفن والرصاص[2] .

كما تفاعل النصارى في التجارة الداخلية باعتبار الدولة الزيانية لم يكن لها مؤسسات تجارية في الدول المسيحية الأمر الذي حصر تجارتهم في المغرب الأوسط[3]، عكس الأوروبيين الذي كانت لهم حرية التنقل والمتاجرة مع الدول الإسلامية ووجود أماكن ومناطق استقرار لهم وفنادق خاصة بهم وكنائس يمارسون فيها نشاطاتهم ودياناتهم بكل في بلدانهم الأصلية[4]، ومن أهم هذه الفنادق فندقان لمقام تجار جنوة والبندقية[5]، أما العامل الآخر فهو الفتوى التي أصدرها العلماء بخصوص منع بيع وكل وكل شيء يمكنهم من المسلمين، حتى وصل بهم الأمر إلى منع التجار المسلمين من السفر نحو بلاد النصارى[6] .

[1]- سميرة نميش، المرجع السابق، ص 75.

[2]- صالح بن قربة وأخرون، المرجع السابق، ص 316.

[3]– نفسه، المرجع السابق، ص 319.

[4]- ابراهيم بوتشيش، **تاريخ الغرب الإسلامي**، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر والتوزيع، 1994، ص ص 95-96.

[5]- حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 152.

[6]- عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص 201.

## المبحث الثالث: انعكاسات تواجد الذميين بالمغرب الأوسط:

### أولا: موقف العلماء من امتيازات اليهود:

تدهورت الأوضاع السياسية في الدولة الزيانية فاستغل اليهود الوضع وقويت شوكتهم مما أثار حفيظة بعض علماء الدولة الذين كانوا يشاركون في معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تعترض أحوال المجتمع الزياني[1]، وفي طليعة هؤلاء العلماء مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي الذي وصفه ابن مريم بقوله:"...خاتمة المحقيقين، الإمام العلامة المحقق الفهامة القدوة الصالح السني الخير أحد أذكياء العالم وأفراد العلماء الذين أوفوا بسطة في العلم .."[2].

ولد المغيلي بتلمسان ونشأ بها ثم رحل منها بعد حفظ القرآن إلى بجاية التي تلقى بها العلوم على يد أبي العباس الوغليسي، بعدها رحل إلى توات وهي يومئذ دار علم إسلام[3]، ويعود سبب رحلته إلى توات للفساد الذي ساد بالعرش الزياني والانحلال الذي عم بالمجتمع، وتكالب القوى الأوروبية ضد المدن الساحلية للبلاد، كما لاحظ كذلك خروج الأمراء عن الدين وانغماسهم في الملذات واستسلامهم لأهواء اليهود ،فهاجر إلى حيث يستطيع أن يقوم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[4].

---

[1]-مختار حساني، المرجع السابق،ج 2،ص307.

[2]- بن مريم، المصدر السابق، ص 253.

[3]- مُحَمَّد عبد الكريم المغيلي، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح: عبد المجيد الخيالي، لبنان، دار الكتب العلمية ، 2011، ط1، ص11.

[4]- الحاج أحمد نورالدين، **المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعثها للملوك والأمراء**، مذكرة ماجستير، الشريعة الإسلامية، إشراف، مولود سعادة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011، ص 28.

وقد ذكر شاعر في هذا الصدد:

تلمسان أرض لاتليق بحالنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

وكيف يحب المرء أرض يسوسها يهود فجار ومن ليس يرتضى[1].

دخل المغيلي إلى إقليم توات سنة 1465م وبعد فترة تعلمه على يد شيخه يحي بن يدير في منطقة تمنطيط التي كانت تعج باليهود[2]،لاحظ بها وجود نشاط تجاري متزايد لليهود في حركة القوافل التجارية مع السودان والذي بفضله سيطروا على توات وأصبحوا يتصرفون فيها بدون رادع[3].

فثار المغيلي على يهود توات وألزمهم الذل والهوان ونازلهم وسعى إلى هدم كنائسهم إلا أنه وجد معارضة كبيرة من قبل عبد الله العصنوني قاضي توات، فكتب عدة رسائل وجهها إلى علماء بلاد المغرب الذين تباينت ردودهم[4] .

رد العلامة أبو عبد الله مُحَمَّد بن يوسف السنوسي على رسالة المغيلي بقوله :".....**فقد بلغنا أيها السيد ما حملتكم عليه الغيرة الإيمانية ، والشجاعة العلمية الإسلامية من تغيير أحداث اليهود، دمرهم الله تعالى وأذلهم كنسية في بلاد الإسلام .وحرصكم على هدمها، وتوقف أهل تمنطيطة فيه من جهة من عارضكم في ذلك من أهل الأهواء ،فبعثتم تستنهضون همم العلماء فيه فلم أر من وفق لإجابة المقصد، وبذل وسعه في تحقيق الحق.....ولم يلتفت لمداهنة ممن تتقى شوكته سوى الشيخ الإمام القدوة المحقق علم الأعلام، الحجة أبي عبد الله التنسي متع الله به**

[1]- نفح الطيب، المصدر السابق، ج3، ص 307.

[2]-قومي مُحَمَّد، المرجع السابق، ص107.

[3]- مُحَمَّد بن عبد الكريم المغيلي، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تح: عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشرو التوزيع، الجزائر، 1974، ص 9.

[4]-ابن مريم، المصدر السابق ،ص253.

**وجزاه خيرا فإنه في أمد للإبانة ونشر أعلامه، النفس وحقق نقلا وفهما وبالغ فائدة من نور إيمانه الماحى ظلمة الكفر الأعظم"**[1].

كما أيد هذا الرأي أبو عبد الله بن جليل التنسي الذي وصف ابن مريم فتوته بقوله :".....فإنه جزاه الله خيرا فقد مد في إبانة الحق ونشر أعلامه النفس ،وحقق نقلا وفهما...."[2]، ومن بين المؤيدين أيضا مفتي تلمسان القاضي أبو زكريا يحي بن البركات الغماري[3].

كما أجاب في المسألة الشيخ الإمام أبو عبدالله الرصاع مفتي تونس بأبيات يقول فيها:

أحبابنا نوب الزمان كثيرة وأمن منها رفعة السفهاء

فمتى يفيق الدهر من سكراته وأرى اليهود بذلة الفقهاء[4].

أما الونشريسي فقال عن وجوب هدم كنائس اليهود: "**الحق الأبلج الذي لاشك فيه ولا محيد عنه أن البلاد التواتية وغيرها من قصور الصحراء النائية المستامة لتلول المغرب الأوسط المختطة وراء الرمال المتهيلة التي لاتنبت زرعا ولا ضرعا بلاد الإسلام اختطاط، لا تتقرر الملاعين اليهود –أبعدهم الله –فيها كنيسة إلا هدمت باتفاق إبن القاسم والغير، ولا حجة لهم في الحوز الأعم من الأذن الشرعية المعتبر وعدمه.....فإنه دليل واضح أن ما أحدثه ملاعين اليهود من الكنائس بالقصور التواتية وغيرها من بلاد الجريد المستامتة لتلول المغرب الأوسط لا تقر بل تهدم...."**[5].

---

[1]-المغيلي ، **مصباح**...المصدر السابق، ص 48.

[2]-ابن مريم، المصدر السابق، ص249.

[3]- الونشريسي، المصدر السابق،ج2، ص 229.

[4]- المغيلي، **مصباح**.....المصدر السابق ، ص48.

[5]- الونشريسي، المصدر السابق ،ج 2،ص ص 232-235.

بعد أخذ المغيلي بآراء العلماء والفقهاء ووصول ردهم خاصة من طرف التنسي والسنوسي أمر المغيلي جماعته بهدم الكنائس وبقتل من يعارضهم حتى قال :"... من قتل يهوديا، فله علي سبعة مثاقيل "[1]، وقد عرفت هذه الحادثة بنازلة اليهود.

**ثانيا: الخطر النصراني وسقوط الدولة:**

**أ- الخطر النصراني:**

شهدت الدولة الزيانية في أخر عهودها خاصة مع تزايد ضعف الملوك الزيانيين الأمر الذي كلفهم انفصال العديد المدن عن السلطة المركزية.

ولقد أثر سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين في يد الإسبان بتاريخ 897هـ/ 1492م على الدولة الزيانية وذلك بهجرة العديد من الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط ومن بينهم النصارى الذي شنوا غارات على سواحله ومحاولاتهم في الاستيلاء على موانئه، وذلك بغية السيطرة على النشاط التجاري في المنطقة[2].

ومع استيلاء البرتغاليون على موانئ المغرب الأقصى، واستحواذهم على تجارة الذهب مع السودان، حاولوا مواصلة الحملات على موانئ المغرب الأوسط مهاجمين بذلك على ميناء المرسى الكبير سنة 906هـ/1501م إلا أن محاولاتهم باءت بالفشل، الأمر الذي أدى بالإسبان للقيام بالعديد من الحملات على الميناء حتى سقط بين أيديهم بتاريخ 910هـ/1505م[3].

[1]- المغيلي ، **مصباح** .... ،ص 48.

[2]- عبد الحميد حاجيات، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب**، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، 2011، ج1، ص 85..

[3]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 86.

ومما زاد تفاقم الوضع السياسي واشتداد خطر النصارى على المملكة وقوع مدينة وهران 914هـ/1509م، وبجاية 915هـ/1510م في يد الإسبان[1]، فانتهكوا الحرُمات مما استدعى إعلان الطاعة من قبل المدن الأخرى للإسبان.

ولقد كان للعثمانيين نصيب في أراضي المغرب حيث قام البابا عروج باستيلاء على مدينة جيجل[2]، وبعد محاولاته الفاشلة في الاستيلاء على بجاية، دخل مدينة الجزائر وجعلها عاصمته سنة 1516م، كما استولى على تنس والمدية ومتيجة[3].

ومع وفاة مُحَمَّد الخامس وتنصيب أبي حمو موسى الثالث الذي أعلن الولاء للإسبان الأمر الذي أثار سخط أهالي تلمسان الذين استنجدوا بابا عروج وتنصيب أبي زيان[4]، الأمر الذي أدي بسلطان أبي حمو موسى الثالث الاستعانة بالإسبان فكان له ذلك ودخل تلمسان سنة 924هـ وفي هذه الأثناء وجه الإسبان أنظارهم للقضاء على الوجود العثماني متخذين في ذلك سياسة مسلمة ملوك تلمسان اكتفوا بعقد الصلح وبوفاة أبي حمو الثالث سنة 934هـ/ 1528م تقلص نفود الزيانيين في المنطقة.

**ب- سقوط الدولة الزيانية:**

بعد أن تولى المتوكل الحكم بتلمسان أخذ الضعف يدب في آل زيان، وانتشرت الفوضى في البلاد التي عمها الجور والفساد ولعبت فيها الضغائن والأحقاد، وفي فترة حكم عمرو الحفصي

[1]- مولاي بالحميسي، **نهاية دولة بني زيان**، مجلة الأصالة، الجزائر، مطبعة البعث، العدد 26، 1975، ص 32

[2]- عبد الحميد حاجيات، المرجع السابق، ص 86.

[3]- مولاي بالخميسي، المرجع السابق، ص 32.

[4]- لخضر بوعبدلي، **التاريخ السياسي**..، ص 131.

870هـ/1466م فإنه غزا تلمسان مرتين وفي المرة الثانية هدم أسوار المدينة وعزم على استئصال أهلها لولا شفاعة علمائها وصلحائها فعفا عنهم وبقي حال الدولة مضطربا[1].

وقد تظافرت مجموعة من الظروف أدت بالدولة إلى الانهيار تراوحت بين ظروف داخلية وخارجية وعوامل سياسية وعسكرية واقتصادية وعلى رأسها الخلافات على العرش مما أدى إلى تراجع المدينة والمنطقة من عدة نواحي بسبب استنجادهم بالقبائل والدول المجاورة لمساعدتهم ضد السلطة في تلمسان[2].

ويمكن إجمال الظروف الجغرافية ضمن الظروف الداخلية، فضيق الأراضي الزراعية في الدولة وتعرضها الدائم للغارات الداخلية والخارجية، حرم الدولة من إنتاج جيد يمكنها من الصمود أمام الغارات[3]، إضافة إلى هذا وقوع العديد من المجاعات والأوبئة وعواصف بردية قوية تحدث في آخر كل خريف وخلال فصل الشتاء تتسبب في إتلاف المحاصيل الزراعية وقتل البشر والبهائم[4].

كما كان لاستقلال كل المناطق الجبلية دور كبير في شتات الدولة فقد تأسست إمارات ذات أصل مرابطي أو شريفي من أهمها: إمارة بني عباس في جبال القبائل جنوب بجاية، و إمارة كوكو الواقعة إلى الغرب من الأولى .

وانفصلت المدن الداخلية كذلك عنهما تحت حكم بعض الأسر كبني جلاب بتوغرت وعلاهم في ورقلة، وسادت القبائل على المناطق السهلية كبني عامر في وهران والذواودة بقسنطينة.

---

[1]- الحاج مُحَمَّد بن رمضان شاوش، المرجع السابق، ص 94.

[2]-بسام كامل عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق ،ص246.

[3]- نفسه ،ص247.

[4]- خالد بلعربي، **المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني**، دورية كان التاريخية، انجلترا، العدد4، 2009،ص20.

وكان لمساهمة القوى الدينية المتمثلة في المرابطين وأتباع الطرق الصوفية دور في إضعاف الدولة عبر توجيه الانتقاد، ومحاولة كبار المتصوفة في تأليب الرأي العام عليهم أمثال: الشيخ أحمد بن يوسف المليانى والشيخ عرفة الشابي، وعمل آخرون على المساهمة في قيام الحكم العثماني بالمنطقة[1].

أما خارجيا فاغتنم الإسبان الأحداث الداخلية وأقدموا على احتلال المرسى الكبير 910هـ/1505م على يد الدون دييكو القرطبي بواسطة أسطول شارك فيه عدد كبير من النبلاء والذي باركته الكنيسة، كما عملوا على زيادة الشقاق داخل أفراد الأسرة الزيانية عبر إعانة وتأييد من ثار ضد السلطة فثار على أبي حمو موسى الثالث 912هـ يحي الثابتي أخو أبي زيان المسعود المسجون من قبل أبي حمو فاستقل بتنس ونواحيها تحت حماية الإسبان، واحتلوا وهران 914هـ/ 1509م فرضخ لهم أبو حمو وقام بعهود معهم تقوم على دفع جزية سنوية مقدارها اثني عشر دوقة[2].

في ظل الأحداث المتردية والوضع المزري للحوض الأبيض المتوسط ظهر في البحر الإخوة بربروس الذين ألحقوا بالسفن والشواطئ المسيحية خسائر كبيرة، فذاع صيتهم وانتشرت بطولاتهم فتوجهت أنظار الجزائريين نحوهم خاصة من طرف أبي العباس أحمد بن القاضي الزواوي الذي كتب لهم يستنجدهم فقال :"...إن بلادنا بقيت لك ولأخيك أو للذئب، فأقبل الترك نحوه مسرعين وجعل هو يحض الناس على إتباعهم، والانخراط في سلكهم، والسمع والطاعة لأميرهم عروج التركماني الذي هو الباي فيهم " فدخل الترك الجزائر وتلمسان[3].

ظلت تلمسان محل صراع بين الزيانيين والعثمانيين، وأصبحت تلمسان كجسد بلا روح إلى أن قرر مجلس العلماء سنة 962هـ/1554م خلع الحاكم الزياني وأعلن البايلرباي صالح ريس نهاية

---

[1]- عمار بن خروف، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب**، الجزائر، دار الأمل للطباعة والنشر ، 2006،ط1، ج1،ص ص15-16

[2]-لخضر بوعبدلي، **تاريخ مملكة تلمسان**...،ص ص277-278.

[3]-عمار بن خروف، المرجع السابق، ص20.

الدولة الزيانية وقيام دولة جزائرية موحدة، وانتهت الدولة الزيانية بعد أن عمرت ثلاثة قرون وثماني عشرة سنة[1].

عُرفت الدولة الزيانية بموقعها الاستراتيجي الأمر الذي سهل عملية ممارسة الأنشطة الاقتصادية بكل انواعها وللتسامح الذي اولاه الدين لفئات أهل الذمة، إذ كانت لهم حرية الكسب والعمل فمارسوا نشاط التجاري بكل أريحية وعليه برز اليهود بشكل ملفت في المجال التجاري خاصة فيما تعلق بتجارة الذهب التي برعوا فيها حتى وصلوا لاحتكارها وبهذا اكتسب اليهود نفوذا ماليا مكنهم من التأثير على الدولة والتحكم في زمام الأمور.

[1]-سميرة نميش، المرجع السابق ،ص 102.

# الخاتمة

**الخاتمـــــة:**

شهدت منطقة المغرب الإسلامي العديد من الأحداث والتطورات السياسية أسهمت وبشكل كبير في قيام العديد من الدول على جغرافيتها، منها الدولة الموحدية التي وحدت أقطار المغرب الإسلامي تحت حكم واحد إلا أن هذه الدولة ما فتئت أن اندثرت وحلت محلها ثلاث منها الدولة المرينية في المغرب الأقصى والدولة الزيانية في المغرب الأوسط والدولة الحفصية في المغرب الأدنى.

وتعتبر الدولة الزيانية من أهم الدول التي قامت على راضي المغرب الأوسط التي عمرت قرابة ثلاث قرون عرفت خلالها تطورا على جميع الأصعدة بما في ذلك المجال الاقتصادي مما جعل منها قبلة التجار والحرفين من مختلف الأقطار خاصة فئتي اليهود والنصاري إثر سقوط غرناطة الأندلس

وعليه وانطلاقا من دراستنا نستنتج أن:

- ✓ المسيحية ظهرت في أراضي المغرب خلال القرن 2م أي بدخول القرطاجيون إلى المنطقة وبهذا يكون القرطاجيون هم من نقلوا الجاليات المسيحية إلى المنطقة.
- ✓ إستقرار الوفود والجاليات المسيحية وانتشارهم في المناطق سواء الداخلية او الساحلية في طبنه وبلاد الزاب وبلاد الجريد.
- ✓ كان دخول اليهود لبلاد المغرب الإسلامي ومجال المغرب الأوسط بصفة خاصة عبر فترات فكان أول منطلق لهم فلسطين خاصة بعد تحطيم وتدمير هيكل سليمان نهائيا.
- ✓ عرف الثلث الأخير من القرن الأول الروماني توافد الجاليات اليهودية وبكم هائل على المنطقة خاصة بعد الاضطهادات التي لحقتهم من طرف الرومان.
- ✓ استقرار اليهود في أكثر المناطق استراتيجية في المغرب الأوسط خاصة ذات النشاط الإقتصادي خاصة تنس وأشير وورجلان ومنطقة توات.

- ✓ ربط أهل الذمة علاقات مع المجتمع الزياني وحتى مع سلاطين خاصة الجالية اليهودية مما سمح لهم ممارسة شعائرهم الدينية والدنيوية بكل حرية مستفيدين من سماحة الدين والسلاطين في آن واحد.
- ✓ كان لأهل الذمة سواء المسيحيين أو اليهود دور مهم على الصعيد الدبلوماسي فكانوا بمثابة سفراء للدول الاوروبية.
- ✓ علاقة اليهود واختلاطهم وسط المجتمع الزياني سهل مهمتهم كجواسيس في المنطقة فكان لهم الفضل الكبير لما وصل إليه الإسبان في المنطقة كما دبروا المؤامرات والمكائد ضد سلاطين الدولة الزيانية.
- ✓ لعب المسيحيون دورا كبيرا كإخوانهم اليهود في الدولة الزيانية كعنصر فعال في الدولة وتجلى دورهم في عمليات فك الأسرى المسيحيين وظهروا كمرتزقة في صفوف الجيش الزياني وصقالبة وأعلاج فبرز فيه هلال القطلاني.
- ✓ عرفت الدولة الزيانية رخاء إقتصادي مما جعلها قبلة التجار من جميع الأمصار خاصة أهل الذمة الذين وجدوا ضالتهم في المنطقة، فبرزت الجالية اليهود في بعض الصناعات مثل صياغة الذهب والفضة والرقيق، كما اشتهروا بصناعة الخمور التي كانت محرمة على المسلمين.
- ✓ أما النصارى فكان دورهم في ربط العلاقات التجارية بين الإمارة التلمسانية والدولة الأوروبية خاصة تجار إيطاليا وأرغونة.
- ✓ إن الوضع الذي ألت إليه فئات أهل الذمة والحظوة التي تميزوا بها من قبل السلاطين أثار حفيظة علماء ومشايخ الدولة الزيانية منها العالم المغيلي الذي أثار قضية يهود توات في هدم كنائسهم وبيعهم وموقف العلماء منه.
- ✓ إن ضعف سلاطين الدولة خاصة الأواخر منهم وتدخل العناصر الأجنبية في المنطقة وظهور العثمانين في المنطقة سرع في سقوط دولة الزيانيين التي دامت أكثر من ثلاثة قرون.

# الملاحق

**الملحق رقم (1): مخطط يوضح شجرة نسب بني عبد الواد [1]**

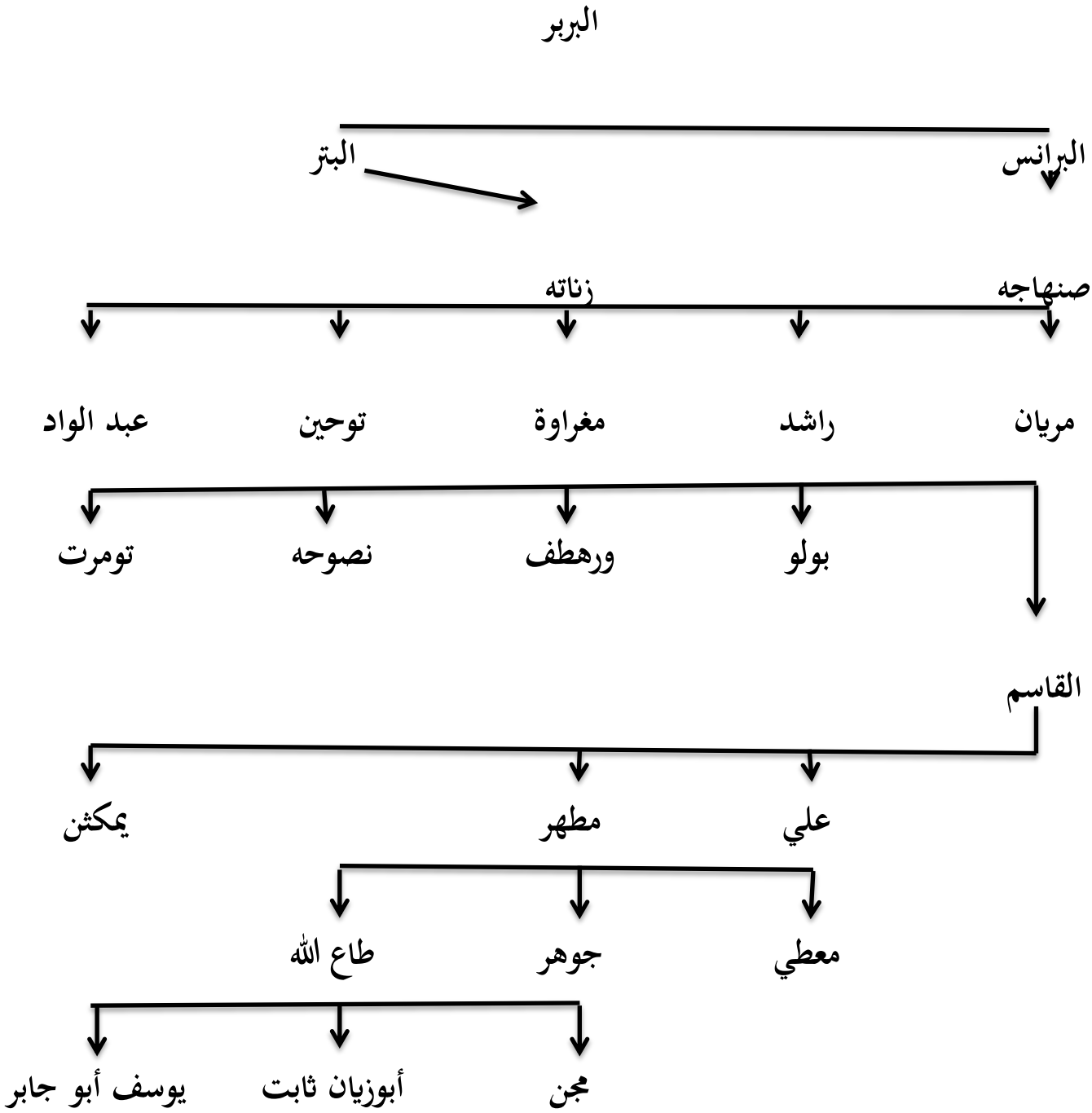


[1] - عبد الرزاق شقدان، المرجع السابق، ص53.

**الملحق رقم: (2) خريطة توضح مملكة تلمسان في العهد الزياني[1]**

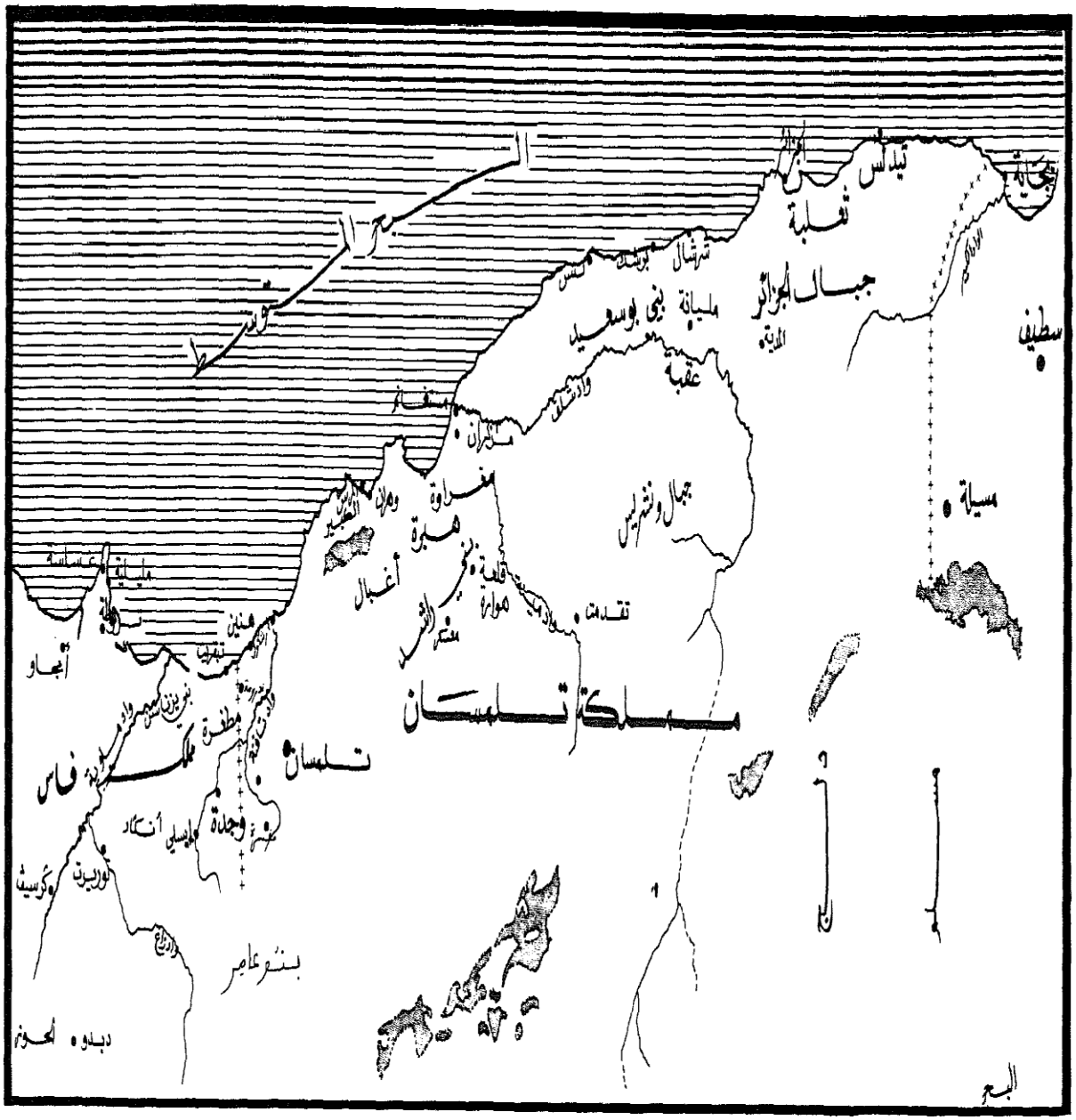


[1] . حسن الوزان: المصدر السابق، ج2، ص4.

**الملحق رقم (3): خريطة توضح أهم الموانئ حول البحر الأبيض المتوسط[1]**

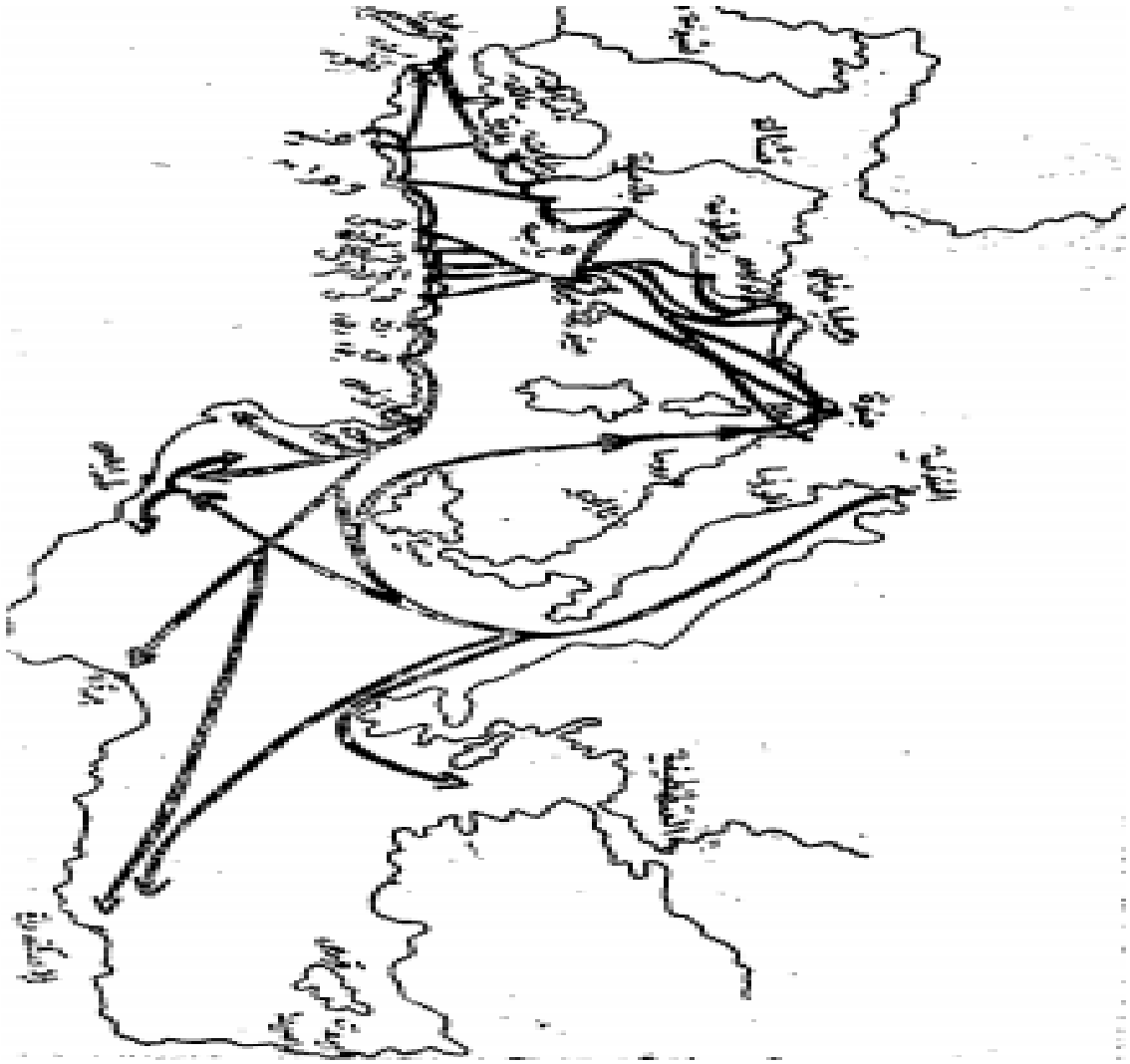

[1]- لطيفة البشاري، المرجع السابق، ص 333.

الملحق رقم(04) : التوزيع الجغرافي لأهل الذمة ببلاد المعرب [1]

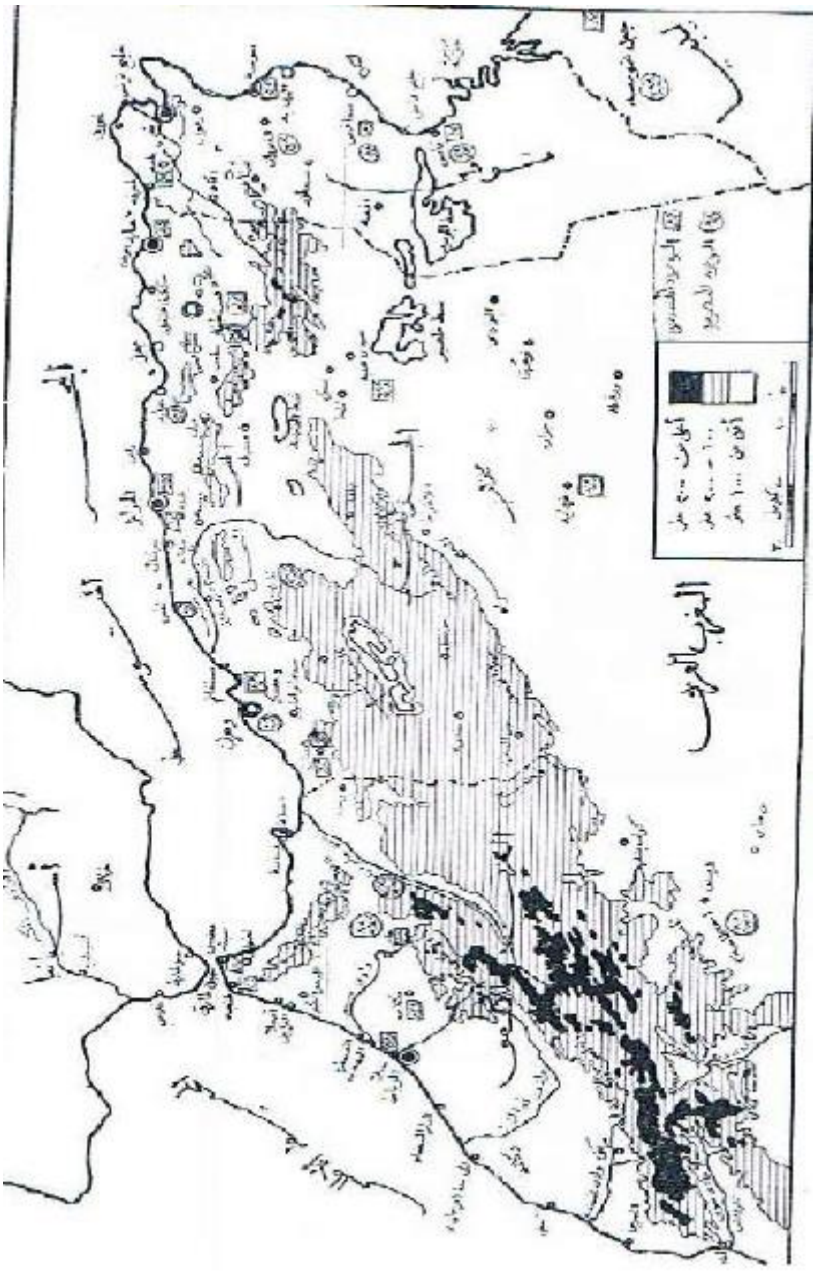


[1] سميرة نميش ، المرجع السابق، ص 108

الملحق رقم (05) جدول يبين أسماء تجار أوروبيين بتلمسان في النصف الأول من القرن الرابع عشر ميلادي[1]

| المدينة | الإسم واللقب | العمل | مكان السكن | السنة |
|---|---|---|---|---|
| ميورقة | سيمارانو cimaarnau | تاجر وقنصل | تلمسان | 1337م |
| ميورقة | لوبي أرنو Lobi armaou | تاجر | تلمسان | 1329م |
| مونبلان | روس بيرس Rocs pers | تاجر | تلمسان | 1325م |
| برشلونة | سوتزيندبيد Sotzine père | رأسمالي | تلمسان | 1330م |
| ميورقة | فرادفير نيكولو Verdgner niecolan | رأسمالي | تلمسان | 1330م |
| بنسيه | ثيلازي سبييرنات Vilasis bernat | تاجر | تلمسان | 1308م |
| ميورقة | إيسام رامون Isam ramon | شريك في سفينة | تلمسان | 1321م |
| ميورقة | رويق بير Roig père | صاحب عمل | تلمسان | |
| ميورقة | موراس برنات Moras bernant | شريك في سفينة | تلمسان | 1321م |

[1] بسام عبد الرزق شقدان، المرجع السابق ص ، 201 .

الملحق رقم : (06) جدول يوضح أهم التجار اليهود في المغرب الأوسط في القرن 8هـ/14م[1]

| إسم التاجر | البلد الأصلي | وجهة العمل | العمل | السنة |
|---|---|---|---|---|
| كسال Cassal | مايورقه | مستغانم | رب العمل وكاتب | 716هـ/1318م |
| ماستروبرونات Mesde berthomeu | / | مستغانم | كاتب ومحضر | 716هـ/1318م |
| سالا بريمي Pierre guein | / | مزغران | تاجر | 717هـ/1319م |
| دسديه جيجو Desde guegou | / | مستغانم | رب العمل | 718هـ/1320م |
| بويز الأب Pierre poyse | / | مستغانم /الجزائر | رب العمل | 719/718هـ/1320/ 1321م |
| بنيت برنات Bernetbar nat | / | تلمسان/مستغانم | تاجر رؤوس أموال | 728/727هـ/1329/ 1330م |
| كبسبر بيرناث Capasper e bernat | / | مستغانم/شرشال | صاحب رؤوس أموال | 728/727هـ/1329/ 1331م |
| مارح بركثماي March | / | مستغانم | شريك كوكا | 728/727هـ/1329/ 1330م |

[1] سميرة نميش ، المرجع السابق

| | | | | |
|---|---|---|---|---|
| berthomeu | | | | |
| أوليف برناث<br>Olivela<br>bernat | / | مستغانم | تاجر | 730هـ/1331م |
| ريوس جوم<br>Reus<br>jaume | / | مستغانم | تاجر | 730هـ/1331م |

# الفهارس

**فهرس الأعلام:**


| الأعلام | الصفحة |
|---|---|
| ابا تاشفين | 52 |
| ابراهام | 47 |
| أبو حمو موسى الثالث | 65 |
| أبو حمو موسى الثاني | 56 |
| إسحاق بن سليمان الأسرائيلي | 32 |
| ألفونسوا الثالث | 46 |
| بونداني | 46 |
| جابر بن يوسف | 15-14-13 |
| جاك الثاني | 56-58 |
| زيري بن مناد الصنهاجي | 40 |
| صمويل | 46 |
| عبد الرحمان بن رستم | 41 |
| عبد الؤمن بن علي | 15-14 |
| عثمان يغمراس | 55-47 |
| فرايم النقارة | 44 |
| مُحَّد السابع | 56 |
| بلكين بن يوسف | 41 |
| يعقوب الثاني | 41 |
| يغمراسن | 15-12-58-57-54 |

**فهرس القبائل:**


| القبائل | الصفحة |
|---|---|
| البربر | 30 |
| بني عبد الواد | 15–12–11 |
| زنانة | 11 |
| بنو مطهر | 16–13 |
| بنو راشد | 16 |
| بني مرين | 13 |
| بنو ياتكين– بنو واللو– مصوجة– بنو تومرت– بنو رسطف– بنو القاسم | 12 |

**فهرس الأماكن:**


| الأماكن | الصفحة |
|---|---|
| المغرب الاوسط | 13–11–40–37–29 |
| طنجة | 30 |
| الصحراء الليبية | 31 |
| سرت – طرابلس | 31 |
| برقة | 36–31 |
| طبنة– بلاد الزاب | 32 |
| سبتة– فاس | 32 |
| تلمسان | 15–14–39–32 |
| أورشليم | 35 |
| فلسطين | 38–37 |
| تنس | |
| أشير | 38 |
| تيهرت | 39–11 |

# البيبليوغرافيا

**القران الكريم**

**المصادر:**

1- إبراهيم بن يوسف يعقوب،(**ت 182هـ**)، **كتاب الخراج**، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، 1979.

**2-** بن أحمر إسماعيل، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح: هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، مصر، 2001.

3- الإدريسي، أبوعبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الله بن ادريس الحموي الحسيني،( **559هـ/1166م**)، **نزهة المشتاق في إختراق الأفاق**، المكتبة الثقافية الدينية، مصر، 2000.ج1

4- البكري أبو عبيد عبد لله بن العزير بن مُحَمَّد،( **ت487هـ/1094م**) **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، دار الكتاب، مصر.

5- ــــــــــ، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، لبنان، 2003.

6- التلمساني ابي عبد لله مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد، **البستان في ذكر الاولياء و العلماء في تلمسان**، مُحَمَّد بن ابي شنب، مطبعة الثعالبية، الجزائرن 1908.

7- التنسي مُحَمَّد بن عبد لله بن عبد الجليل الحافظ،( **ت899/ 1493م**)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم اذرر والعقيان في بيان شرف بني زيان**، تح: محمود بوعياد، الجزائر، 2011.

8- الجوزي أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمان بن علي بن مُحَمَّد البغدادي،( **508-598هـ**) **زاد الميسر في علم التفسير**، دار بن حزم، لبنان، 2002.

9- الحفيد ابي الوليد مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن رشد، **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**، مكتبة ابن تيمية، مصر، 1415هـ.

10- الحميري مُحَمَّد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تح: إحسان عباس، مطبعة هيدلبرغ، لبنان، 1984.

11- بن الخطيب لسان الدين،( **776هـ/1374م**)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح: مُحَمَّد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، مصر، 1984.

12- بن خلدون أبو زكرياء يحي ابن ابي بكر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسن ، **بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد**، تح: عبد الحميد حاجيات، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.

13- بن خلدون عبد الرحمان،( **ت808هـ/1406م**) ، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تح: خليل شحادة، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2000، ج6،ج7.

14- بن خلكان ابي العباس،(**ت681هـ/1282م**) **وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان**، تح: إحسان عباس، دار صادر، لبنان، (د ت ن)، مج1

15- الرحيباني مصطفي السيوطي، **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، منشورات المكتب الإسلامي، سوريا، د، س، .

16- بن أبي زرع الفاسي، **الدخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، تح: مُحَمَّد بن شنب، مطبعة جول كربونال، الجزائر، 1920.

17- ـــــــ ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك وتاريخ مدينة فاس**، ، صور للطباعة والوراقة ،المغرب ، 1972.

18- الزهري ابي عبد الله مُحَمَّد ابن ابي بكر، (**ت 135هـ/753م**)، **كتاب الجعرافيا**، تح: مُحَمَّد الحاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

19- بن سلام أبو عبيد القاسم،( **664-837هـ**)،**كتاب الاموال**، تح: مُحَمَّد عمارة، دار شروق، لبنان، 1989.

20- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر،( **773- 852هـ**) **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، تح: عبد الرحمان بن نصر البراك، دار طيبة للنشر والتوزيع، السعودية 2005.

21- الغزالي أبي حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد،( **450– 505هـ**) **فقه الإمام الشافعي**، تح: علي معوض، علي عبد الجودي، دار ابن الأرقم، لبنان، 1997.

22- القرشي يحي إبن ادم،( **ت203هـ/818م**) **كتاب الخراج**، تح: حسين مؤنس، داربن الحزم، لبنان، 2002.

23- القلقشندي ابي العباس احمد،( **821هـ/1418م**)، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتب السلطانية، مصر، 1918.

24- كربخال مرمول،( **1008هـ/1600م**)، **إفريقيا**، تر: مُحَمَّد حجي، دار المعرفة للنشر والتوزيع، مصر،

25- كونتنو، **الحضارة الفينيقية**، تر: مُحَمَّد عبد الهادي شعيرة، مصر، د،س.

26- لوبون غوستاف، **اليهود في تاريخ الحضارت الأولى**، تر: عادل زعيتر، دار الطيبة لنشر، مصر، 2009.

27- لومبارد لوريس، **الإسلام في مجده الأول**، تر؛ إسماعيل العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

28- الماوردي أبي الحسن علي بن مُحَمَّد بن حبيب، (**ت 974هـ/ 1058م**) **الأحكام السلطانية والولايات الدينية**، تح: أحمد مبارك البغدادي، مكتبة بن قتيبة، الكويت، 1989.

29- المجهول، **الاستبصار في عجائب الامصار**، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار النشر المغربية، المغرب، 1985.

30- مجهول، **الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية**، تح: سهيل زكار، عبد القادر زمامة، دار الرشاد، المغرب، 1979.

31- المراكشي ابن عداري، ( **ت380هـ/ 990م**)، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج.س كولان، إ.ليفي، دار الثقافة، لبنان، د، ت.

32- المراكشي مُحَمَّد عبد الواحد، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تح: صلاح الدين الهواري، الأنصاري للطباعة والنشر والتوزيع، 2006، ط1، 148.

33- المرداوي علاء الدين ابن الحسن بن سليمان، **الإنصاف**، تح: مُحَمَّد حامد الفيقي، 1956.ج4.

34- المغربي بن سعيد ابي الحسن علي بن موسى،( **ت685هـ/1286م**)، **كتاب الجغرافيا**، تح: إسماعيل العربي، المكتب التجاري للنشر والتوزيع، لبنان، 1970.

35- المغيلي أبو عبد الله عبد الكريم، **مصباح الأرواح في أصول الفلاح**، تح: عبد الله حمادي إدريسي، 2013.

36- ـــــــــ، **أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، تح: عبد القادر زيادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.

37- المقديسي أبو عبد الله مُحَمَّد بن أحمد، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مكتبة مدبولي للنشر، مصر،1991، ط3.

38- مقديش محمود، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، تح: علي الزاوي، مُحَمَّد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

39- المقري التلمساني أحمد بن مُحَمَّد، **نفح الطيب من الغصن الرطيب**، تح: أحسان عباس، دار صادر، لبنان، 1969.

40- ـــــــــ، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، تح: مصطفي الصقا وأخرون، مطبعة فضالة المغرب،

41- المقريزي أبو الفتوح ناصر(**538-610هـ**)، **المغرب في ترتيب المغرب**، تح:محمود الفاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، سوريا، 1979.

42- النصيبي ابن حوقل ابو القاسم، **كتاب صورة الأرض**، مكتبة الحياة للطباعة و النشر، لبنان، 1992.

43- النويري شهاب الدين مُحَمَّد بن عبد الوهاب، **نهاية الأرب في فنون الادب**، تح: علي بوملحم، دار الكتب العلمية، لبنان، د،س.

44- الوزان الفاسي الحسن بن مُحَمَّد( **ت711هـ/ 1311م**)، **وصف أفريقيا**، تر: مُحَمَّد حجي، مُحَمَّد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1983. ج1.2

45- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحي،(**ت 749هـ/ 1347م**) **المعيار المغرب والجامع المغرب في فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، تح: مُحَمَّد حجي، وزارة الشؤون الإسلاميةن المغرب، 1981، ج2.5.3.

46- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب اسحاق،(**ت 284هـ**)، **البلدان**، تح: مُحَمَّد امين ضناوي، لبنان، دار الكتب العلمية، د،ت.

**المراجع:**

1- أ.ف.غوتيه، **ماضي شمال إفريقيا**، تر: هاشم الحسيني، مؤسسة الثالوث الثقافية، 1970.

2- البرغوني عبد اللطيف محمود، **التاريخ الليبي القديم من أقدم العصور إلى الفتح الإسلامي**، دار صادر، لبنان، 1971.

3- برنشفيك روبار، **تاريخ إفريقية في العهد الحفص من القرن 13إلى 15** ، تر: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1988.

4- برنيان أندري وأخرون، **الجزائر بين الماضي والحاضر**، تر: أسطنبولي رابح، منصف عاشور، ديوان مطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

5- البشتاوي عادل سعيد، **الأندلسيين المواركة**، مصر، 1983.

6- بشير عبد الرحمان، **اليهود في المغرب العربي 22هـ -462هـ/ 642هـ- 1070م**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية، مصر، 2001.

7- بلعربي خالد، **الدولة الزيانية في عهد يغمراسن**، دار الألمعية، الجزائر، 2011.

8- ـــــــــــــ، **تلمسان من الفتح حتى قيام الدولة الزيانية**، دار الالمعية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011

9- ـــــــــــــ، **ورقات زيانية دراسات وأبحات في تاريخ في تاريخ الجزائر الاوسط في العهد الزياني**، دار هومة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2014.

10- بن خروف عمار، **العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب**، دار الامل للطباعة والنشر، الجزائر، 2006.

11- بن قربة صالح وأخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2007.

12- القوصي عطية ، **اليهود في ظل الحضارة الإسلامية**، مركز الدراسات الشرقية ،مصر، 2001.

13- بوتشيش إبراهيم القادري، **تاريخ الغرب الإسلامي**، دار الطليعة للطباعة للنشر والتوزيع، لبنان، 1994.

14- بوعبدلي لخضر، **تاريخ تلمسان في عهد بني زيان ( 962-633هـ/1554-1236م)**، دار الأوطان، الجزائر، 2007.

15- ـــــــــــــ، **تاريخ مملكة تلمسان**، دار الأوطان، الجزائر، 2011.

16- ـــــــــــــ، **التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني زيان**، بن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

17- بونار رابح، **المغرب العربي( تاريخه وثقافته)**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

18- جيلالي عبد الرحمان، **تاريخ الجزائر العام**، دار الثقافة، لبنان، 1983.

19- حاجيات عبد الحميد وأخرون، **الجزائر في التاريخ**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.

20- ـــــــــــــ، **دراسات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلمسان والمغرب**، عالم المعرفة للنسر والتوزيع، الجزائر، 2011.

21- حساني مختار، **الدولة الزيانية**، منشورات الحضارة، الجزائر، 2007.

22- حسن حسين الحاج، **النظم الإسلامية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1987.

23- حسن خليفة أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، دار قباء للطباعة والنشر، مصر، 1998

24- الخرازي بديعة، **تاريخ الكنيسة النصرانية في المغرب الأوسط**، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، 2007.

25- الخربوطلي علي الحسني، **الإسلام وأهل الذمة**، المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية، مصر، 1969.

26- ريه عطا علي مُحَمَّد شحاته، **اليهود في المغرب الاقصى في عهد المرينيين والوطاسيين**، دار الكلمة للنشر والتوزيع، سوريا، 1999.

27- الزجيلي وهبة، **الفقه الإسلامي وأدلته**، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع، سوريا، 1985.

28- زيادة نيكولا، **إفريقيات**، رياض الريس للنشر والتوزيع، إنجليز، 1991.

29- زيدان عبد الكريم، **أحكام الذميين والمستامنيين في دار الإسلام**، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1982.

30- الزين حسن، **الاوضاع القانونية للنصارى واليهود في الديار الإسلامية حتى الفتح العثماني**، دار الفكر الحديث، لبنان، 1988.

31- السعد الجودي، **أوهام التاريخ اليهودي**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998.

32- سعيدان عمر، علاقات **اسبانية القطلانية في تلمسان في الثلثين الأول والثاني من القرن 14**، وزارة الثقافة، الجزائر، 2011.

33- سواح فراخ، **أرام دمشق وإسرائيل في التاريخ و التاريخ الثوراتي**، دار علاء الدين، سوريا، 1995.

34- سوسة أحمد، **العرب واليهود في التاريخ**، العربي للنشر والتوزيع، سوريا، 1973.

35- السيد السابق، فقه السنة، الفتح للإعلام العربي، مصر،دت.

36- شاوش بن رمضان الحاج مُحَمَّد، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، دوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011.

37- الشحود علي نايف، **الخلاصة في احكام الجزية**، سوريا، 2012.

38- طعيمة صابر، **تاريخ اليهود العام**، دار الجيل، لبنان،1991.

39- الطمار مُحَمَّد ، **تلمسان عبر العصور**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

40- الطيار علي عبد الرحمان، **حقوق غير المسلمين في الدولة الإسلامية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 2006.

41- العبادي أحمد مختار، **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، دار النهضة العربية، لبنان، 1986.

42- عبد العظيم سعيد، **حكم معاملة أهل الذمة**، دار الإيمان للنشر والتوزيع، مصر.

43- عبد العليم مصطفي كمال، **اليهود في عهد البطالمة والرومان**، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر، 1968.

44- عبد العليم مصطفي كمال، سيد فرج راشد، **اليهود في العالم القديم**، دار القلم، سوريا، 1995.

45- العربي إسماعيل، المدن المغربية،

46- العربي إسماعيل، **دولة بني حماد**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

47- علوي حسن حافظ، **سجلماسة وإقليمها في القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي**، وزارة الاوقات والشؤون الإسلامية، المغرب، 1997.

48- غانم مُحَمَّد الصغير، **التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط**، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر، 1982.

49- فاض عطية، **فقه المعاملات المالية مع أهل الذمة**، دار النشر للجامعات، مصر، 1999.

50- فركوس صالح، **مختصر في الجزائر من العهد الفينيقي إلى الفرنسيين 814هـ – 1962**، دار العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.

51- الفيلالي عبد العزيز، **تلمسان في العهد الزياني**، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2000

52- ــــــــــــــــ، **دراسات في تاريخ الجزائر والغرب الإسلامي**، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2012.

53- القرضاوي يوسف، **غير المسلمين في المجتمع الإسلامي**، دار الشباب، الجزائر.

54- القفاري **ناصر بن عبد الله الموجز في تاريخ الاديان المعاصرة**، سعودية، دار الصميعي، 1992.

55- كرم عبد الله، **الرحلات في إقليم توات**، دار النشر، الجزائر، 2007.

56- كواتي مسعود، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح حتى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

57- نبهاني تقي الدين، **الشخصية الإسلامية**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، 2003.

58- يحي بوعزيز، **وهران**، طبع بمناسبة تلمسان عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2007

**المعاجم والقواميس:**

1- أبو السعدي، القاموس الفقهي، دار الفكر، سوريا، 1988.

2- بن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مُحَمَّد بن مكرم الافريقي المصري،( ت845هـ/ 1442) **لسان العرب**، دار صادر، لبنان.

3- الحموي ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، لبنان، 1977

4- الخطيب مصطفي عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، لبنان، 1996.

5- الطرايشي جوزج، معجم الفلاسفة، دار الطليعة للنشر والتوزيع، لبنان، 2006.

6- نويهض عادل، معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة، لبنان، 1980.

**الرسائل الجامعية**

1- ابو حسون عبد القادر، العلاقات الثقافية بين المغرب الأوسط والأندلس في العهد الزياني 1235- 1554، مذكرة ماجستير، جامعة أبو بكر بلقايد، اشراف: لخضر عبدلي، 2006-2007.

2- بشاري لطيفة، التجارة الخارجية لتلمسان في عهد الإمارة الزيانية، مذكرة ماجستير، معهد التاريخ، الجزائر، اشراف: موسى لقبال، 1986- 1987.

3- بن مصطفي إدريس، العلاقات السياسية والإقتصادية للمغرب الأوسط مع إيطاليا و شبه الجزيرة الإيبيرية في عهد الدولة الزيانية، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة ابو بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008.

4- دحماني فتيحة، شرابر جملة، الجيش في العهد الزياني 633-0962هـ/ 1235- 1554م، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المدية، 2014-2015.

5- شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني، 633- 962هـ/ 1235-1554م، مذكرة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، إشراف: هشام أبو رميلة، 2002.

6- قومي مُحَمَّد، دور الطائفة اليهودية في إقليم توات 9- 10هـ/ 15-16م، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2013-2014.

7- مبخوت بوداوية، العلاقات الثقافية التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، مذكرة دكتوراه، إشراف: حاجيات عبد الحميد، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان، 2005- 2006.

8- نميش سميرة، أهل الذمة في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، مذكرة ماجستير، جامعة ابي بكر بلقايد، تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي في العصر الوسيط، إشراف: لخضر عبدلي، 2013-2014.

9- نور الدين الحاج أحمد، المنهج الدعوي للإمام المغيلي من خلال الرسائل التي بعث بيها للملوك، مذكرة ماجستير في الشريعة الإسلامية، إشراف: ملود سعادة، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2010-2011.

**المجلات والدوريات:**

1- ايشوع الله أيت، معالم من حياة اليهود المغاربة، مجلة كان، العدد 3، انجلترا، 2009.

2- بلعربي خالد، الأسواق في المغرب الاوسط خلال العهد الزياني، مجلة كان التاريخية،العدد6، انجلترا، 2009.

3- بلعربي خالد، المجاعات والاوبئة، مجلة كان التاريخية، العدد4، انجلترا، 2007.

4- جاه الله كمال، الحراك التنصيري في الأقاليم إفريقية، مجلة القراءات الإفريقية، المنتدي الإسلامي، بريطانيا، 2001.

5- حركوت عبود، الجزية والمسلمين الجدد دراسة تاريخية، مجلة المداد الأداب، العدد 10، العراق، 2015.

6- فؤاد طهارة، المجتمع والإقتصاد في تلمسان خلال العهد الزياني خلال 7- 9هـ/ 13- 15م، مجلة جيل العلوم الإنسانية والإجتماعية، العدد 2، 2014.

7- قدح محمود عبد الرحمان، موجز تاريخ اليهود والرد بعض مزاعمهم الباطلة، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد 10، طلبة الدعوة وأصول الدين، سعودية.

8- نشاط مصطفي، جوانب من التاريخ الديمغرافي لليهود والنصاى بالمغرب في العصر المريني، مجلة كنانيش، العدد1، منشورات كلية الأداب، المغرب، 1999.

9- نميش سميرة، أهل الذمة ونشاطهم في الإفتصادي بالمغرب الاوسط خلال العهد الزياني 7-10هـ / 13-16م، مجلة حروف للدراسات التاريخية، العدد 1، 2014.

10- وزارة الأوقاف، حضارة المغرب في العهد الومان، مجلة دعوة الحق، العدد 66، وزارة الشؤون الإسلامية، المغرب.

**المراجع الأجنبية:**

O.P.V XU,sieches ,Xiver, Dhina Atallah, Les etats de l occdent muslman aux XIII .Alger,D,

# فهرس الموضوعات

| فهرس | الصفحة |
|---|---|
| شكر وعرفان | / |
| اهداء | / |
| قائمة المختصرات | / |
| المقدمة | 8-1 |
| مدخل | 15-10 |
| الفصل الأول: مفهوم أهل الذمة ومناطق تواجدهم في الدولة الزيانية | 40-17 |
| المبحث الأول: تعريف أهل الذمة | 27-17 |
| المبحث الثاني: هجرات أهل الذمة واستقرارهم في المغرب الأوسط | 40-28 |
| الفصل الثاني: الجانب السياسي لأهل الذمة خلال العهد الزياني | 60-42 |
| المبحث الأول: دور اليهود على الصعيد السياسي | 49-42 |
| المبحث الثاني: دور النصارى في الجانب السياسي | 60-50 |
| الفصل الثالث: دور أهل الذمة في الحياة الاقتصادية وانعكاس تواجدهم في المنطقة | 89-62 |
| المبحث الأول: الأوضاع الاقتصادية لدولة الزيانية | 67-62 |
| المبحث الثاني: نشاط اهل الذمة في الجانب الاقتصادي ودورهم في المبادلات التجارية | 81-68 |
| المبحث الثالث: انعكاسات تواجدهم ف المنطقة | 89-82 |
| الخاتمة | 92-91 |
| الملاحق | 100-94 |
| الفهارس | 102-103 |
| قائمة المصادر والمراجع | / |
| فهرس المحتويات | / |